

مرّ فلاح بالصدفة. اقترب منهم، وهو يتمالك نفسه بصعوبة من الفرح، صفق بكفيه، ثم قال:

- أهلاً وسهلاً! ستوقفون عندي. أنا أعرف أنكم جِياع، وترغبون بشربة تلين حناجركم. لدي بقرة، أذبحها لكم. وهذا شرف لي! وبكى من الفرح. شد تشي على يده، وشكره على دعوته:

- أنت حقاً تشي الشهير؟

- إنني أدعى تشي غيثارا!

- كيف قُدّر لي أن أعيش لأرى هذه اللحظة. لقد أهانوني، وضربوني، وعذبوني جوعاً، وسرقوا لي أطفالِي. لم أكن أجرؤ على التفوه بكلمة واحدة. أنا بالنسبة لهم مجرد حيوان، حيوان عامل. اذهبوا بهم إلى الشيطان! اطردهم من هذه الجزيرة. فأنتم قادرون على ذلك، وهم يخافونكم. إنهم يرتجفون خوفاً عند سماعهم باسم تشي. أنا عجوز ومريض، إنسان معذب، لا أستطيع على قتالهم، فافعلوا ذلك عني، وأنا أطعمكم وأسقيكم.

وافق تشي على دعوته، لكنه قال:

- لا تفكّر بذبح البقرة. فأنت بحاجة إليها، أما نحن، فيكفينا الغول الأسود، والموز المسلوق.

دخل الفلاح إلى كوخه سعيداً بهذا الشرف. وبدأ مع زوجته بتحضير الطعام مستخدمين كل ما لديهم. «ما ضرنا لو لم يبق شيء من الاحتياط، فبعد مجيء الجيش الثوري، نصبح في الأراضي المحررة، ولن تكون هناك حاجة إلى التخزين، لأن الثوار لا يدعون أحداً يموت من الجوع». شرحت ذلك زوجة الفلاح لتشي، وقامت بتحضير الطعام وهي في غاية السرور. كان المقاتلون في غاية الجوع، كما أنهم لم يكونوا على معرفة متى سيتمكنون من تناول الطعام.

انتشر الحرس في كل الاتجاهات، وقفوا في الأماكن الحساسة، ما عدا إلثا كريتو ومجموعته الاستطلاعية «الهائز» بالموت»، والتي لم يكن يدخلها إلا أفضل المقاتلين وأشجعهم، والذين يعتبرون ذلك شرفاً كبيراً لهم.

قرر إلثا كريتو - الصغير الحجم - استغلال فرصة التوقف من أجل استطلاع المنطقة.

- ألهذا الحد أنت متحمس للمعركة؟ أين المقاتل المأجور العتيق. قال له تشي مازحاً.

علق إلثا كريتو ضاحكاً:

- بالضبط. ولهذا انضمت إلى صفوف الجيش الثوري.

- قريباً جداً، ستتمكن من اختبار شجاعتك.

كانت السماء صافية، وخالية من الغيوم. جلس تشي متكئاً إلى حقيبته العسكرية. وأخذ يخطط رسالة إلى فيدل كسترو. وهو يستمع إلى ريفيين يتحدثان بحرارة عن أكل الصقور، بعد أن مرّ رفّ منها فوق رؤوسهم. قال أحدهم إنه من الممكن أكل كل ما هو طائر، أما الآخر، فأجابه: من الأفضل لي أن أحرق في جهنم من أن أكل لحم آكل الجيف.

اقتربت الفلاحة من تشي، وهمست في أذنه: «لدي شيء خاص لك، لأنك تشي المشهور. لقد ذبحت لك دجاجة، وهي مشوية وجاهزة. هيا لتأكلها».

- لكن، كل ما عندكم من الدجاج لا يكفي لرجالي.

- بالطبع لا، أنا فعلت ذلك من أجلك، لأنك الكوميندان.

شدّ تشي على يدها بحرارة من أعماق قلبه؛ لأنها فعلت كل ما في وسعها وحاولت القيام بكل ما هو أفضل. لكن، لم يكن بوسعه الموافقة على هديتها.

- كلوا هذه الدجاجة أنتم أيتها العمّة. فأنا لا أريد أن أختلف

عن رفاقي بشيء، ولأنني كوميندان بالذات. لكنني أشكركما على هذه الدعوة، وعلى حسن ضيافتكما لنا.

نظرت إليه الفلاحة متعجبة: )

- لكنكم أصدقاؤنا!

مسح تشي بكم بزّته العرق المتصبب على وجهه، وبقيت آثار الغبار عليه. لقد تعود على الوسخ، حتى أنه لم يعد يلاحظه. لم يشعر في يوم من الأيام أنه سعيد كما هو اليوم. لقد شعر وكأنه رجل ذو سبع أرواح. كان دوماً على استعداد لتقديم نفسه قرباناً، حتى على «غرانما» نفسها، كان قد أعدّ نفسه لذلك. لكنه آمن اليوم أنه لم يطلق طلقاته بعد، وليس هناك اليوم من إنسان في الكون يستطيع إيقافه. لقد عاش تلك اللحظة السعيدة برومانسية، وإصرار واقعيين. سيأخذ سانتا كلارا بصحبة رفاقه في المجموعة الثامنة. فهي مدينة تتقاطع فيها طرق مواصلات الجزيرة جميعها، ومن يسيطر على سانتا كلارا كأنما يسيطر على كوبا بأسرها.

لم يسبق له أن كان في هذه المدينة، لكنه عرف الكثير عنها من الأحاديث والصور! فالمدينة محاطة بسلسلة من الجبال، يتمركز فيها جنود باتيستا الذين يحوزون على أسلحة ممتازة، ولديهم عشر دبابات.

جمع تشي المقاتلين من حوله وأشعل سيجاراً ليخفي به إرباكه السعيد.

- وهكذا، وصلنا إلى سانتا كلارا، التي قدمنا للسيطرة عليها بهجوم خاطف. الرفاق في المدينة نشيطون، وعملياتهم لا تفسح في المجال أمام جيش باتيستا للهدوء. لقد خبأوا لنا في المدينة الكثير من الطلقات، والزجاجات الفارغة. وعلينا تصعيد المعركة داخل الأحياء السكنية، لأنه يستحيل على جيش باتيستا استخدام دباباته فيها. سنبدأ بمحاصرة كل الأماكن الاستراتيجية والهامة في

المدينة. والضربة الأولى يجب أن تكون ضد القطار، يجب نسف جميع الطرق المؤدية من وإلى مركز المدينة.

كان تشي يلاحظ أعين المقاتلين تشع بريقاً، ويشدون على بنادقهم التي كان القسم الأساسي منها جديداً. إذ في الطريق إلى سانتا كلارا سلّم عدد كبير من الجنود سلاحه أو تركه وولى هارباً، أو أنه رمى به أرضاً للتخلص منه. فالقدرة النارية للجيش الشعبي لم يسبق لها أن شهدت مثل هكذا قوّة.

- إننا قادمون يا باتيستا.

- الوطن أو الموت.

- إننا لمنتصرون.

دخلوا المدينة الجامعية دون معركة. نظم تشي فيها مركزاً لقيادته المركزية. ووضع عدداً آخر من المراكز القيادية والتوجيهية بالقرب من مركز المدينة. أخذ السكان يتنقلون بحذر، ويراقبون تصرفات الثوار. كانت الأغلبية مسرورة لبوادر الانتصار.

جاء رجل من بعيد يتجه نحو تشي ويصرخ بأعلى صوته:

- اعطوني سلاحاً! فأنا أريد أن أقاتل أيضاً. أريد أن أقاتل هذه الحيوانات!

كانت فيالتا بيرس غوتيرس قد خزنت المئات من الزجاجات الفارغة في منزلها، رغم قلة الفراغ لديها، نظراً لعملها السري في حركة 26 تموز، جاء الآن دورها. أمر تشي بتحضير القنابل اليدوية. فأحضروا البنزين، وقدموا شرحاً عن طريقة تصنيعها لكل الذين رغبوا في المساعدة.

- فتائل! يلزمننا الكثير من الفتائل! إجمعوا كل ما يقع تحت

أيديكم من أكياس وملابس.

عمّرت المنازل بالذين بدأوا بتصنيع الزجاجات الحارقة. وانتشرت رائحة البنزين في كل مكان. وبدأ الناس يروحون ذهاباً

وإياباً وهم يحملون الزجاجات الحارقة، حتى بدا المشهد وكأنه تحضير لافتتاح سوق جديد.

بدأ إطلاق النار في جميع أحياء المدينة تقريباً. ولاحت مناظر المسلحين على أسطح المنازل. حاول بعض الجنود الهرب من المدينة، والقليل منهم استطاع الاختفاء، أما الأغلبية فوقعوا في الأسر وانتزعت منهم بنادقهم.

ها هو أول الكمائن نصب للدبابات، ووقعت دبابة فيه. كان ذلك في ممر ضيق بين المنازل، مما أعاق مدفعتها. وبدأت الزجاجات الحارقة تتساقط من نوافذ الأبنية المحيطة، وألسنة النار تتراقص من مختلف الاتجاهات. بدت العملية كأنها غير فعالة. فجأة، ظهر جندي من برج الدبابة، وأخذ يطلق النار على الثوار الذين يتنقلون على أسطح المنازل. لكنه لم يتمكن من إصابة أحد. فأطلق تشي طلقة أصابت جمجمته، وأخذت جثته تتمايل ببطء وتهوي داخل الدبابة. عبثاً حاولت مدفعية الدبابة الدوران بين المنازل. ارتفع مدفعها كخرطوم الفيل، وبدأ الطاقم باطلاق النار على أسطح المنازل المقابلة.

لعلت الرشاشات. وفجأة، قفز مقاتل، لم يكن أحد يعرفه، وعلى الأغلب أنه من سكان المدينة الذين انضموا للثوار منذ ساعات، قفز إلى سطح الدبابة، واقفاً على البرج، ويحمل بيده زجاجتين حارقتين، بدا وكأنه ليس في عجلة من أمره، ألقي نظرة إلى داخل الدبابة، ثم ألقي الزجاجتين، وبدأت الصرخات تعلو. خرج الثوار من مخابئهم، وبنادقهم موجهة نحو البرج. حاول أحد الجنود الفرار، لكن النيران أجهزت عليه. رفع الشاب الشجاع يديه، مشدداً على قبضته وهو يصرخ: «لقد تمت! لقد تمت! إننا سننتصر!».

بعد دقائق معدودة استقرت طلقة في قلبه. أحضره تشي إلى

المستشفى العسكري. وأخذ يتحدث إلى الجرحى لرفع معنوياتهم. فالمقاتلون المستلقون على الأسرة أصيبوا بجروح بالغة، وبعضهم كان فاقداً الوعي.

أسند تشي مقاتلاً يحتضر. حاول الجريح التحدث إليه بشيء ما، انحنى تشي عليه كي يسمعه بوضوح:

- أتذكر يا كوميندان عندما صادرت بنديتي لأنني أطلقت الرصاص خطأ. وقلت لي يومها: «دبر غيرها! اذهب إلى المعركة، وانتزع بنديّة من عدوك...».

بدت على وجه المقاتل ابتسامة:

- ... أنا انتزعت البندقيّة. لقد حصلت عليها في المعركة... استشهد الرفيق بين يدي تشي.

واجه الثوار مقاومة عنيفة في جبل كابيرو. وكان القطار المحمل بالجنود والضباط، والأسلحة، والذخائر، يقف في مكانه، بعد أن قطع الثوار جميع الطرق المؤدية إلى المدينة. حدد تشي مكانه، وأمر بقطع السكة الحديدية خلف القطار؛ لأنه المكان المناسب لتصفية الحساب مع هذا القطار المقاتل.

- يعتقدون أن علبة السردين هذه تحميهم. وأنها ذات مناعة ضد عدو أعزل من السلاح. لكننا سنتقدم باتجاههم في هجوم مكشوف، من كل سطح ومن كل زاوية. سيكمن لهم أحد الثوار بزجاجة حارقة ليحول القطار إلى فرن حام، ويصبحون حطباً له. لن يكون أمامهم سوى الاستسلام أو الحريق.

احتل ثمانية عشر مقاتلاً مواقعهم، وأحضروا الزجاجات وصناديق الذخيرة. في هذه المنطقة بالذات يتحدد مصير المعركة. عندما رأى قادة القطار جبل كابيرو محاصراً، قرروا التراجع بالقطار إلى خارج المدينة.

مسح تشي عرقه، وأحكم الإمساك ببندقيته. دار الهمس بين المقاتلين:

- إنهم قادمون. القطار يتحرك. الآن سيتقرر مصير المعركة. كان تشي يعلم أن مرتزقة باتيستا يشعرون بأمان طالما أنهم داخل القطار، ويعتقدون أنهم قضوا على هؤلاء «المشاغبين». فالبيوت الأولى بدت وكأنها مسالمة، لم يظهر إنسان واحد فيها. فجأة، حدث ارتطام عنيف. ودوى انفجار كبير، وتتابع الانفجارات. خرج رأس القطار مع عدة قاطرات أخرى عن خط السكة الحديدية. وبدأت الزجاجات الحارقة تتطاير من كل حذب وصوب. انطلقت النيران الغزيرة من فتحات التهوية في القطار وكأنها حمم بركانية. لم يستطع الثوار إصابة الفتحات بسهولة، فاستخدموا الزجاجات الحارقة بشكل أساسي.

دعا تشي الجنود للاستسلام عدة مرات، لكنهم استمروا في المقاومة الشديدة. حتى شعروا بالنيران تأكل القطار من تحت أقدامهم، ومن فوق رؤوسهم فاستسلموا جميعاً. ومرّ أمام المقاتلين ثلاثمئة جندي وسبعة وعشرون ضابطاً رافعين أيديهم. لم يفعل الثوار بهم شيئاً. كان الحرس ثلاثة ثوار، ولم يجرؤ أحد من الأسرى على الهرب.

قرر تشي إحصاء الغنائم، فكانت ستة صناديق ذخيرة، وخمسة مدافع خفيفة، وأربعة عشر رشاشاً، وثمانية وثلاثين بندقية، وثلاثمئة وثمانية مسدسات، ومدفعاً رشاشاً حديثاً. أصبح في حوزتهم من العتاد والذخيرة ما يكفي لإنهاء بقايا جيش باتيستا وتصفيته في المدينة.

كان اثنا عشر رجلاً من موظفي المخابرات العسكرية يتمركزون في فندق «غرانند - أوتيل»، وكانت بناية الفندق أعلى بناية في مدينة سانتا كلارا، تشرف على الساحة المركزية في المدينة. إذ

يمكن من الطابق العلوي رؤية معظم شوارع المدينة. كان الاثنان عشر رجلاً يتمركزون في الطابق العلوي، وهم من القناصة المحترفين، ومزودين ببنادق لها مناظير. لقد نشروا الرعب في صفوف الجميع، إذ حصدوا الثوار الموجودين في الساحة المركزية. وعقدوا العزم على المقاومة حتى آخر رجل منهم. فلا مجال للرحمة بهم، وهم يحوزون على حقد سكان المدينة، نتيجة القتل والتعذيب، والعنف الذي مارسوه. جلس عملاء المخابرات السرية في الطابق الثاني عشر، حيث المطعم والمطبخ، ولم يكونوا بحاجة للذخيرة والتموين.

احتل الثوار مواقعهم حول ساحة السوق، وبدأوا بإطلاق النار على نوافذ الطابق الثاني عشر من الفندق. وسرعان ما اختفى الزجاج من أمامهم. لكنهم لم يتمكنوا من اجتياز الساحة بأي شكل من الأشكال. عندها قرر تشي استخدام الأسلحة الثقيلة، التي غنموها، لتغطية الهجوم على الفندق.

حضر تشي على متن المدرعة، وعند بزوغ الفجر بدأ الرشاش الثقيل بإطلاق نيرانه على الطابق الثاني عشر. بدت غيوم من الغبار، وبدأ الرجال باقتحام الفندق.

أرسل تشي برقية إلى القيادة، بصفته قائداً عاماً للقوات المسلحة المرابطة في مقاطعة لاس فيلباس: «سانتا كلارا بكاملها في أيدي قوات الجيش الثوري».

كان ينتظر الأوامر الجديدة، وسيجاره ينتقل بين أصابعه. الرأس تعب، ألقى به إلى المنضدة منكثراً إلى كفه. جاءت إبيدا وسألته:

- ماذا بك يا تشي؟ لقد انتصرنا. لماذا يطبق الحزن على وجهك؟

كانت تحرك يدها على رأسه مقدمة له العطف والحنان  
والمشاعر الدافئة.

أخذ من سيجاره نفساً عميقاً، ثم قال:  
- عليّ أن أخبر شعب كوبا خبراً مؤسفاً. لقد استشهد أحد  
أفضل المقاتلين وأشجعهم - إلثا كرتو، القبطان الشاب قائد  
مجموعة «الهائزين بالموت».

- لا! صرخ مقاتل شاب. لا! هذا ليس صحيحاً! إلثا كرتو  
لم... انقطع صوته، وأجهش بالبكاء.

- نعم، قال تشي. لقد استشهد. إنني أشعر بفراقه وكأن مئات  
من أفضل مقاتلينا قد غادروا هذه الحياة.

أتعلم، قال الشاب وهو يبكي، لم أكن أعرفه، بل عرفت من  
الآخرين ماذا فعل بتلك الثكنة... أتعرف أية ثكنة... تلك التي  
أردتم احتلالها. عندما توجه إلثا كرتو إلى الجنود وطلب منهم  
الاستسلام، وأجابوه أنهم يرغبون في مناقشة المسألة فيما بينهم.  
حيث قال لهم حينها: «حقاً تباحثوا. أما أنا فسأستلقي هنا  
وأنام». وفعلاً استلقى ونام. وكان لذلك أثر كبير حطّم معنوياتهم  
وقرروا الاستسلام، رغم تفوقهم العددي. أهذه حقيقة؟ أخبرني،  
هل هذا صحيح يا كوميندان؟ لقد كان شاباً خارق الشجاعة. لا  
أستطيع التصديق أنه... .

بعد وقت قليل من خروج الشعب للقاء الثوار وتكريمهم. أعلن  
هرب باتيستا.

\* \* \*

## أحلامي لا تعرف حدوداً

لم يتمكن فيدل من الاتصال به هاتفياً إلا بعد منتصف اليوم الأول من كانون الثاني عام 1959.

- تشي، فيدل يتكلم. لا شك أنك علمت بهرب باتيستا. لقد حانت اللحظة الحاسمة. علينا تثبيت النصر. وفي هافانا جرى انقلاب حكومي، هو نسخة طبق الأصل عن سلفه. جمع الجنرال كاتيلو بعض المتلاعبين السياسيين، وبعض أعضاء المحكمة العليا، العفنين، وعينوه رئيساً للدولة. كل ذلك بتخطيط من سفارة الولايات المتحدة. إنه لا يملك في الحقيقة سلطة. لكن، رغم كل شيء، علينا بالتحرك، والاسراع في تحرير العاصمة. إنها مهمتك أنت وكاميلو. لقد تلقى كاميلو أمراً باحتلال المعسكر الحربي «كولومبيا». أما أنت فعليك باشغال المعسكر الثاني بالحجم - «كابانيا». وأنا سأتحرك إلى محطة الإذاعة من أجل الدعوة إلى إضرام عام. أتمنى التوفيق!

تقدم تشي وكاميلو في اليوم التالي على رأس قواتهما إلى هافانا. كان استقبال السكان لهم مشرفاً. لقد استقبلوهم بصرخات الفرح. وكان التجاوب مع الاضراب عاماً وشاملاً.

استسلم الجنود المتمركزون في «كولومبيا» دون أية مقاومة، وعددهم عشرون ألف جندي يشكلون الاحتياط الأساسي لباتيستا.

أما تشي فتمركز في العاصمة هافانا دون أية مقاومة أيضاً. وفشلت بالتالي لعبة الجنرال كانتيلو.

بعد يومين من تمركز تشي في هافانا، تمكن مراسل صحيفة «البايس» التي تصدر في الأورغواي من إجراء مقابلة معه.

- لا، أنا لن أشارك في الحكومة. أجب تشي بحزم قاطع وواضح. أنا مجرد كوميندان في الجيش الثوري. وعندما تعود الأمور إلى طبيعتها، أعود مواطناً عادياً، وأهب حياتي لمهنتي. وأرغب في أن أسافر حينها إلى الأرجنتين، حيث أجد مكاناً للراحة لوقت ما بعد معاناة المعارك التي استمرت سنتين.

- متى ستعود الأمور إلى طبيعتها؟  
لم يجب تشي إنما هزّ كتفيه فقط.

\* \* \*

دخل سلاي على صديقه القديم تشي، الذي أصبح كوميندان معسكر «كابانيا»، فوجده يجلس على كرسيه، ينظف مسدّسه، في غرفة صغيرة تطل على البحر، فيها سريران صغيران من الحديد، تفصل بينهما خزانة صغيرة علقت عليها مرآة قديمة. وعلى الحائط ثبت مسمار كبير، علّقت عليه بندقية أتوماتيكية، وفوقها قبة سوداء تحمل نجمة صغيرة.

- اجلس أيها المجرم المحترف. قال تشي مازحاً، ماذا ترى، عندنا هنا إطلالة رائعة على البحر، هيّا تمتع بها. ألم تجلس خلف القضبان بعد وصول «غرانما»، عندما وقعت في الكمين، أم أن ما حدث لك غير ذلك؟

- آه يا تشي، لم تكن المسألة بهذا التعقيد! حظي كان رائعاً، لم يطلقوا عليّ الرصاص كما فعلوا مع بقية الرفاق. بل قُدمت للمحاكمة لأنني مكسيكي. كان باتيستا يريد البرهنة على وجود مؤامرة ضده من قبل دولة ما.

- بماذا حكم عليك؟

- بست سنوات. لقد سألني القاضي، بسخرية، عن سبب مشاركتي في تحرير كوبا. فاستشهدت بكلمات خوسيه مارتى: إن الإنسان الذي تعني له كلمتا العدالة والشرف شيئاً ما عليه أن يقاتل من أجل الحرية في أي مكان تحقق بها المخاطر.

- سمعت أنك حاولت توزيع موزج عن خطاب فيدل «سيبرئني التاريخ».

- نعم لقد حاولت ذلك. وربما خافوا من اقتحام السجن، فأرسلوني إلى المكسيك. حيث باشرت بدعم «حركة 26 تموز» في السلفادور، وغواتيمالا والهندوراس.

- وقصتك مع السفارة - هل هي صحيحة؟

- نعم، كنت مع بعض الرفاق الكوبيين في تيجو سيغالبه، عندما سمعنا بهرب باتيستا في الأول من كانون الثاني. فقمنا باحتلال السفارة الكوبية، وكانت العملية سهلة جداً. لكن، جاء البوليس فوراً، وقام باعتقالنا. في السجن، طالبت بالتحدث إلى الرئيس، فذهلت إدارة السجن إلى حد اعتبر أحدهم أنني جنت. وسألني أحد الضباط ما إذا كنت صديقاً للرئيس، فأجبت بنعم، وأنه نزل في ضيافتنا عدة مرات عندما كان في المهجر. بعد قليل، جاءنا الضابط، وطلب إلينا التحدث مع قصر الرئيس هاتفياً. ثم أخذ يحدثنا بهدوء لم نعهده من قبل. لقد تحدثنا مع الرئيس، وبعد ساعات، طارت بنا طائرة عسكرية إلى هافانا.

- ماذا جرى لك في أميركا الوسطى؟ لقد سمعت أنك كنت تعمل مع «حركة 26 تموز».

أجبر تشي صديقه على التحدث بالتفصيل عن نشاطاته، وبعد ذلك سأله:

- أخبرني أهلك أنهم لم يتلقوا منك أي أخبار، لماذا؟

- لم يكن لدي وقت. كنت أتنقل بشكل مستمر وأنا أنفذ مهمات الحركة.
- يجب ألا ينسى الثوري أهله. وهناك دائماً إمكانية لمنحهم بعضاً من الوقت.
- لكنك تعلم كم كنت مشغولاً... .
- لا داعي للتبرير، دائماً يوجد وقت لكتابة سطرين.
- ربما تكون على حق. لكن، ماذا فعلت أنت في المكسيك؟ هل كتبت لوالديك؟ لقد فقدت كل اتصال بأهلك، كما أذكر! ابتسم تشي ورد عليه قائلاً:
- نعم، أنت أيضاً على حق. كان عليّ أن أكتب أكثر.

\* \* \*

- رن جرس الهاتف في «كاباني»:
- إرنستو، جاءنا صديق من تشيلي، إنه قائد الحزب الاشتراكي. وهو يرغب في التعرف إليك. هل لديك وقت؟ قال كارلوس رافائيل رودوريغوس سائلاً.
- ماذا؟ السلفادور الليندي وصل إلى طرفك؟ لدي وقت كبير، وعليّ أن أقدم له الشكر.
- أنت تعرفه؟
- بشكل شخصي لا، للأسف. لكنني مدين له بالكثير. انقل له مشاعري الصادقة.
- عندما دخل الليندي، كان تشي ممتدداً على السرير، ويمسك بيده آلة يستخدمها للتهوية عند نوبة الربو. أشار تشي للضيف أن يجلس، ورجاه أن ينتظر قليلاً. خاف الليندي وكاد أن يطلب الاسعاف. لكن تشي، طلب إليه الجلوس بحركة من يده.
- بعد قليل، نهض من السرير باذلاً جهداً كبيراً.
- أهلاً بك يا رفيق الليندي، كما ترى، الربو يرفع من حرارتي.

- إنني سعيد بالتعرف إليك. عندما رأيتك تعاني من نوبة الربو على هذا الشكل أخذت أتخيل كيف استطعت القتال في سبيرا طيلة هذه المدة. ألم تكن تتنابك هذه النوبة هناك؟

- بلى، كان ذلك كثيراً. لكنني تعودت عليها. أشكرك على رسالة التوصية للمحامي في غواياكيل، التي أعطيتها لـ ريكاردو روخو.

- أية رسالة؟ لا أذكر شيئاً من هذا القبيل.

- لقد مرّ عليّ ذلك منذ سبع سنوات. وتمكنت بفضلكم من السفر إلى غواتيمالا، رغم أنني كنت أنوي السفر إلى فنزويلا. من يعلم، لولا مساعدتكم ربما كنت الآن أعمل في مختبر ما في فنزويلا، كما فعل الكثيرون من مثقفي البرجوازية.

- لا داعي لذكر مثل هذه الأشياء الهامشية. لكن، أخبرني، هنا، يسميك بعضهم شيوعياً محرراً للثورة. أيمكنني أن استنتج أنني ساعدت محررك الثورة؟ أي شرف لي!  
ضحك الاثنان.

- ماذا عساک تحدثني عن مسار الثورة في كوبا، رفيق غيثارا؟ كل الثوريين في أميركا اللاتينية يتابعون تطور الأحداث باهتمام بالغ. فمحاولة السفير الأميركي دعم نظام باتيستا حتى دون شخصه فشلت، ولم ينجح الجنرال كاتيلو. ماذا الآن؟ لقد عين فيدل كاسترو ميرو كاردونو رئيساً للوزراء، وهو محام رجعي، دافع عن قتلة القائد النقابي خيسوس فينديسا. إنه معروف بميوله الأميركية. والكثيرون من وزرائه كانوا سياسيين محنكين، لم يبادروا في يوم من الأيام للنضال ضد باتيستا. والقلة القليلة من مقاتلي «حركة 26 تموز» شاركت في الحكومة. هل يعقل أن كل هذا النضال كان من أجل طرد باتيستا فقط؟ وماذا بعد؟

- فيما يخص المستقبل. سنرى معاً ماذا ينتظرنا! لكن، اسمح

لي أن أوضح حقيقة الأمر. لقد فرّ باتيستا هارباً، لكن نظامه لم يتحطم نهائياً، بل بالعكس. أما من جهة السكان، فلم يعد له أي مرتكز، وظهر ذلك بوضوح منذ شهرين، عندما حول باتيستا تثبيت نظامه عبر إجراء انتخابات عامة تهدف إلى إعطاء نظامه طابعاً ديمقراطياً. لكن، كيف كانت النتيجة، أتعرفها؟ لم يشارك من مجموع الناخبين أكثر من عشرين بالمئة، ومعظمهم أُجبر على المشاركة في الانتخابات رغماً عنه.

على هذا الأساس نستطيع أن نحكم، والشعب يدعم نضالنا بقوة وإصرار. لكن، لا يعني ذلك أنه الانتصار النهائي. فنحن نعلم أن السفير الأميركي طلب من باتيستا مغادرة البلد ليتمكن من تشكيل حكومة تناسب مع مصالح الليانكي والاقطاع المحلي، وتحظى في الوقت نفسه بتأييد السكان. لكننا نقول إن الحظ كان إلى جانبنا. فباتيستا كان عنيداً، ولم يقبل التخلي عن مكانه.

- كل ما تقوله جيد، قاطعه الليندي. لكن، هذا ليس توضيحاً لاجراءات فيدل كاسترو.

- على العكس تماماً، ألا ترى أن الانقلاب الرجعي مسألة محتملة؟ هنا في هذا المعسكر لا تجد سوى مقاتلين من الجيش الثوري. لكن، هناك في معسكر كولومبيا وحده، يوجد ما يزيد على العشرين ألف جندي من جنود باتيستا، كان يعتمد عليهم اعتماداً أساسياً. صحيح أنهم استسلموا للثوار، لكنهم لا يعتدون الخمسمئة. وصحيح أن كل جندي من جنود باتيستا يؤدي التحية العسكرية لكل من يلاقيه من الثوار. لكن، قل لي، أين هو توازن القوى؟ في المواقع لا يزال جيش باتيستا يحتفظ بهيكليته وسلاحه، والبوليس أيضاً. علينا أن نعمل بحذر. على كل حال، لم تجر حتى الآن أية محاولة انقلابية، لكن الحديث يدور،

وأكرر، يدور الحديث عن هوية من يسيطر على السلطة السياسية!  
- إذأ، ترى في تعيين كاردونو رئيساً للوزراء مناورة من قبل  
فيدل كاسترو حتى يبعد أية محاولة انقلابية؟  
- أنا لم أقل ذلك. لكن، اسمح لي أن أوضح مرة أخرى، ما  
هي مهماتنا المباشرة الآن؟

أولاً، محاكمة جميع المخربين التابعين لأجهزة المخابرات  
السرية لباتيستا. فهم مجرمون حقيقيون، قتلوا وعذبوا الكثيرين.  
ففي فترة حكم الديكتاتور التي لا تتجاوز السبع سنوات قتل ما  
يزيد على العشرين ألفاً من السكان. لذلك، يجب أن ينالوا  
عقابهم، وهذا مطلب للسكان الذين لن يفهموا لماذا لم يعاقب  
المجرمون. وماذا بعد ذلك؟ علينا حلّ جيش باتيستا والبوليس.  
لأن، طالما أن هذا الجيش موجود، فالسلطة لا تكون بيدنا!

- لكن لماذا والجيش مستسلم، ألن يقوم بخدمة الحكومة  
الثورية؟ صحيح أنه لديكم الجيش الثوري الذي ولد من رحم  
المعارك. لكن، كم هو عدد مقاتلي هذا الجيش؟ إن ما عندكم لا  
يتجاوز الثلاثة آلاف مقاتل. إذأ، عليكم الاندماج مع الجيش  
القديم. ثم لماذا حلّ البوليس؟ لا شك أنه تجب محاكمة  
المجرمين منهم. لكن، ما هو خطر البوليس العادي؟

- الجيش والبوليس والمخابرات السرية شكلوا المرتكزات  
الأساسية لنظام باتيستا. ولدينا الكثير من الرفاق داخل الجيش  
والبوليس - أشار تشي إلى ذلك دون ارتياح - لكن، بشكل عام،  
إن من يخدم هناك ليس نائراً، ومعظمهم نذروا أنفسهم لخدمة  
الديكتاتورية، وهم الآن محطمون ومفككون، لكن يمكن  
استخدامهم ضدنا.

توقف للحظة، ثم تابع كلامه:

- على ما اعتقد، يا رفيق الليندي، إنك مرتاب مما يجري.

- أقول الحق، نعم. عندنا في تشيلي، ينظرون إلى هذه المسألة بصورة مختلفة تماماً. ففي الجيش والبوليس يسود جو وطني، والتفكير المركزي عندهم يتمحور حول المهنة فقط. وعندنا عادة قديمة - عدم تدخل القوات المسلحة في الحياة السياسية.

لقيت أفكار السلفادور الليندي اعتراضاً حاداً من قبل تشي:  
- كما هو معروف لديكم أنا كنت في غواتيمالا، وعاشت الوضع هناك. فما يسمّى بالجيش غير الميسّس تمرد على الحكومة التي وصلت بشكل شرعي إلى السلطة، وأجرت إصلاحات تركز إلى الدستور، والعقيد في هذا الجيش خاكابو ارنييس راهن على إمكانية دعم الجيش لهذه الإصلاحات. وهو الذي انتخبه الشعب، وكان يطمح لرؤية الإصلاحات المتعارضة مع مصالح الاحتكارات الأميركية الواسعة التي تسيطر على البلد. وعندما شعرت الولايات المتحدة بالخطر الذي يهدد مصالحها، اختفت الحكومة الدستورية من الوجود، وأخذ الجيش غير الميسّس يقوم بالقتل والتعذيب. لا، أنا لا أرى وجود جيش لا يتدخل في الحياة السياسية، أو على الأقل، هناك عندما تجري محاولات جدية لإحداث تحولات اجتماعية عميقة. فالتشكيلات المسلحة، سواء كانت جيشاً أو بوليساً، عليها أن تخدم المصالح والأهداف السياسية للحكومة. وهنا، يمكنني أن استشهد بكاتب واحد من الكتاب المحبين إليّ، هو لينين: «إن أية ثورة، تساوي شيئاً عندما تكون قادرة على الدفاع عن نفسها فقط»<sup>(\*)</sup>.

نعم، على القوات المسلحة أن تدافع عن الثورة. وإذا كنا نعتبر

---

(\*) ف.إ. لينين. المؤلفات الكاملة، المجلد 37، ص 122، (بالروسية).

أن الجيش سيقف على الحياد حتى نقوم بإجراء الإصلاحات،  
فنهايتنا قريبة.

- إنها مسألة للنقاش. فتشيلي أعطتني مثلاً يختلف جذرياً،  
حتى أنني أرى أنه بإمكان الجيش تقديم الكثير الكثير من أجل  
التطور الاقتصادي للبلد. لنترك هذا الموضوع. ما هي مهماتكم  
المباشرة؟

- أنا سأبقى كومينداناً. وعدا عن محاكمة الجلادين، سنقوم  
بحل الجيش، والبوليس ونؤسس جيشاً ثورياً، وبوليساً ثورياً.  
وهذه ليست مسألة سهلة أبداً، إذ هناك فرق كبير بين أن تقاتل في  
صفوف الثوريين ضد جيش نظامي، وبين أن تشكل جيشاً مهمته  
الدفاع عن الجزيرة. وعلينا أن نأخذ بعين الاعتبار النزعة العدوانية  
للولايات المتحدة. لذلك، يجب تسليح الشعب كي يكون قادراً  
على مواجهة المعتدين. فعلينا تشكيل ميليشيا شعبية.

ومن وظائف ستكون التربية السياسية. يجب أن أقوم بكل ما  
في وسعي كي يكون الجديد إلى جانب الثورة بكل جوارحه. وأنا  
هنا، متفق تمام الاتفاق مع وزير الدفاع الجديد، راؤول كاسترو.  
فإذا كنا نرغب في تحقيق شيء ما بواسطة هذه الثورة علينا إتقان  
الدفاع عنها.

- يبدو من هذا الكلام أن هناك خطة كاملة لثورة اشتراكية  
بالمفهوم الكلاسيكي! فهل تسير كوبا في هذا الاتجاه؟

- حالياً، ليس بإمكان أحد أن يجيبكم عن هذا السؤال. لكن،  
ما يمكنني أن أؤكد هو أن هذه الثورة، ليست انقلاباً تدور  
أحداثه داخل القصر. لا، ففيدل كاسترو إلى جانب التحولات  
العميقة، وهو من دون شك، قائد لهذه الثورة. وكل المشاكل  
التي يعاني منها الشعب من الفقر المدقع، والجوع، والخلاعة،  
واختراق الاحتكارات الأجنبية للاقتصاد، كل هذه القضايا يجب

أن تحل. وهذا ما تريده «حركة 26 تموز»، أو بالأحرى، أكثرية الحركة. أما هل ستحصل ثورة اشتراكية؟ فالكثير من المقاتلين لا يرغبون في ذلك. لكن، برأيي، لن تكون هناك وسيلة غير القيام بهذه الثورة إذا ما رغبوا في تحقيق أحلامهم في الحياة. علينا متابعة اتجاه تطور التحولات.

- إذاً، ليس فيدل والقادة الآخرون «لحركة 26 تموز» باشتراكيين أو شيوعيين؟

حرّك تشي يديه بشكل غير مفهوم، ثم قال:

- هم يملكون فناعات لا تتزحزح. وهناك الكثير مما يجب تغييره في هذا البلد. أليس هذا هو أساس المسألة؟ إذا تابعنا هذا الخط بصدق سنكون شهوداً على ثورة حقيقية في كوبا.

بعد انتصار الثورة مباشرة، انتقلت إلدا بصحبة ابنتها إلى كوبا. ربّت تشي ابنته، قبلها، ثم وضعها في السرير. واتخذ موقفاً جدياً ثم أخبر إلدا أنه تعرف على امرأة جديدة ينوي الارتباط بها. إنها المراسلة إيليدا مارتش.

لقد صدم هذا الخبر إلدا. ولاحظ تشي أنها تتمالك نفسها بصعوبة بالغة وهي تبكي:

- هل هي بعمرى؟

لم يجيبها تشي. فأكملت قائلة:

- كان عليّ أن آخذ ذلك في الحسبان... أنا أكبر منك بعشر سنوات. ورغم ذلك كنت تردد أن ذلك لا يهكم بشيء. لكن، من يعيد الأيام!

- إلدا، ليست المسألة في ذلك... فأنا...

انفجرت الدموع من عينيها، وأطلقت العنان لمشاعرها:

- أنا لم اعترض عندما قررت الالتحاق بالسرية التي غادرت على ظهر «غرانما». ولم يكن ذلك سهلاً، كان عليّ أن أعتني

بطفلنا، ولم أكن أعرف أننا سنجتمع مع بعضنا في يوم من الأيام... أنا لم أفكر في إزعاجك، لكن لا تعتقد أنني عشت عيشة هنية وسهلة. ولن تصدق كم مرة نقلوا إليّ خبر استشهادك. وبسبب ذلك أصبت بصدمة عصبية في «لا - باس»، وانتقلت إلى الطبيب. فهذا الرعب الدائم كان بسببك، وبسبب الطفل... انتقلت إلى الأرجنتين لأنني كنت أشعر بنفسي وحيدة في تلك الغابة...

شعر تشي بانقباض في حنجرته. فكم من مرّة داعبت ذكراها مخيلته في خضم المعارك. وعندما وقفت أمامه تشكو له حياتها ووحدها، شعر بلاإنسانية فراقها. لكن، ما الفائدة من خداعها. وهو لا يريد أن يكون كذاباً، والاثنتان ستمران في هذا الوضع.

- كان من الأفضل لو قتلت في إحدى المعارك.

نظرت إليه إلدا، وهزت رأسها بعنف قائلة:

- لا، لا! الأفضل أنك ما زلت حياً، يا إرنستو. بوسعك أن تخدم الثورة بالكثير. وأنت ضروري لها، وأنا أيضاً أريد البقاء هنا في كوبا كي أساعد في بناء الحياة الجديدة. ما رأيك لو بقينا أصدقاء!

امتلأت عيناه بالدموع. ضمّهما إلى صدره:

- اعذريني يا إلدا! اعذريني!

أفلتت إلدا منه، واقترحت عليه الطلاق حتى يعود كل شيء إلى مكانه.

جلس بضجر وخجل، ولديه رغبة في قول بعض الكلمات. لكن، كل ما يدور في رأسه كان غير مناسب، وأحياناً معيباً. جلس البعض الوقت إلى جانب بعضهما وكل واحد ينظر في وجه الآخر. ثم قام تشي لتحضير الشاي.

لا، لا، تجب الكتابة بحذر أكبر. أصبح تشي أسطورة كيف

لنا أن نستطلع حقيقة هذه الشخصية المعقدة والمتناقضة؟ كان يرفض التحنيط، وأن يصنع منه تمثالاً حياً. لقد بدأ يتذكر. عندما وعى الحياة أنها شيء ما معقد، ولدت في نفسه رغبة في اختيار شخصية ما موجّهة لنفسه ومنازة لها... وبدأ في البحث عن إنسان سياسي شريف، يمكنه أن يتحدث إليه دون شك. فقرأ ما كتبه سارتر عن تشي غيثارا: «أنا لا أرى أنه كان ذو عقل نافذ فقط، بل إنه الإنسان الأكثر كمالاً في عصرنا الحاضر».

قرأ هذه الكلمات بصوت عالٍ. وعندما رآها تتطير مصطدمة بالجدران، قرّر الكتابة. فبدأ يجمع المعلومات عن تشي غيثارا، دون أن تكون منظمة في النهاية، لم لا نحاول أن نجد في ماضي إنسان آخر مبرر وجودنا؟ لماذا لا نتبين كيف تمكن الآخرون من حل مشاكلهم ومصاعبهم الخاصة؟

كثيرون هم الذين حاولوا الكتابة عن تشي غيثارا، والذين رغبوا في معرفة حقيقة هذه الشخصية ودراساتها. وآخرون حاولوا تحديد دراستهم في الجانب السياسي عنده دون أن يروا الجانب الإنساني فيه.

فحياته عندهم، انقسمت إلى قسمين منفصلين عن بعضهما بوضوح: القسم الاجتماعي والسياسي من جانب، ولم يحاول أحد أن يدرس الجانب الآخر.

كيف يمكننا أن نتعلم من شخص آخر؟  
لقد بدأ بالبحث عن معطيات للمباشرة؟

\* \* \*

أخيراً، وصلت الطائرة الكوبية التي طال انتظارها. فكم من الوقت مرّ على فراقه لوالديه! سنوات أصبح فيها مشهوراً، أسطورة. رغم ذلك، يبقى والداه في مكانتهما، ويبقى ابناً لهما، كيف لا وقد انشغلا في مستقبله وحالته الصحية.

ركض للقائهما على مدرج الطائرة.

- ماما! بابا!

- تي تي!!

بعد أن تعانقوا بشكل عاصف، بادره والده بالسؤال:

- ماذا تنوي أن تفعل؟ ما هي خططك نحو مهنتك كطبيب،

ومعلوماتك الطبية؟.

فوجيء تشي بهذا السؤال، الذي شكل له نوعاً من الاحباط.

لقد توقع أسئلة من نوع آخر. أسئلة عن انتصار الثورة، ومصاعب

النضال.

شعر بحزن لبعض الوقت، وسار ببطء، لكن سعادة اللقاء طغت

على مشاعره. ربما لا يمكن للوالدين إلا أن يكونا هكذا؟ ربما

هكذا الأهل في كل العالم؟ من يدري، ربما كان أول سؤال

وجهه أهل الثوار الروس لأبنائهم، بعد انتصار الثورة. ألم تؤلمكم

أرجلكم يا أبناءنا؟

بعد أن تداخلت هذه الأفكار في رأسه، ابتسم، ورد على

سؤال والده:

- معارفي الطبية؟ ماذا أفعل بها؟ اسمع أيها الشيخ، أنت

معروف باسم ارنستو غيثارا مثلي. فما رأيك لو أقدم لك شهادتي

في الطب هدية. وبسهولة، يمكنك أن تعلق إعلاناً على واجهة

بنايتك التي توجد فيها شركتك للمقاولات، وتكتب «طبيب».

وتستطيع معالجة الناس من دون أية مخاطر.

قال تشي ذلك، وانفجر ضاحكاً على مقاله، كما ضحك

الآخرون. لكن والده كرر سؤاله فأجابه:

- حسناً، إذا كنت مهتماً إلى هذه الدرجة بهذه المهنة، فأنا لم

أمارسها منذ وقت طويل. أنا الآن مناضل أساعد في بناء مجتمع

جديد.

- نعم، لكن ماذا سيحصل لك؟ من المؤكد أن لديك مخططات لحياتك المستقبلية.

ثائر، هذه ليست مهنة.

- ماذا سيحصل لي؟ أنا لا أعرف أنا لا أعرف حتى أين سيدفنون بقاياي في يوم من الأيام.

كان والده يتحرق لرؤية تلك المناطق التي قاتل ولده فيها. فهو يريد الذهاب إلى سبيرا، وسانتا كلارا، وأوفيرو...

- بالطبع، أريد رؤية المكان الذي رست فيه غرانما.

- أشعل تشي سيجاراً جديداً وعلّق قائلاً:

- إنها فترة رائعة برأيي. لن يكون بإمكانني مرافقتك بالطبع، لكثرة أعمالي. سأرسل معك إنساناً شارك في تلك المعارك. إنه يعرف جميع الطرق المؤدية إلى هناك. ويحدثك عن الأحداث الكثيرة.

- ممتاز.

- لكن، عليك أن تدفع ثمن البنزين والطعام.

- أنت جاد بما تقوله؟

- طبعاً.

- تي تي. أنا لا أستطيع تحمل هذا المبلغ من المال.

- إذًا، لن تتمكن من السفر إلى هناك. ربما في مرة أخرى. أم أنك تعتقد أنني من أولئك الذين يتصرفون بأموال الدولة كما يحلو لهم. أنا أنقاضي مخصصاً محددًا.

حاول الأب إقناع ابنه مرتين، لكن تشي لم يَلِن. ولم يقدم لوالده أي امتيازات. لكنه في المقابل، حاول تعريفه بكوبا الجديدة أكثر فأكثر.

بعد عدة أيام كان «رانتشو بو بيروس» يودعهم في مطار هافانا. فجأة، تقدم باتجاههم رجل من الأرجنتين.

- المعذرة، أنت الكوميندان تشي غيثارا؟  
هزّ تشي رأسه ايجاباً.

- إذأ، اسمح لي أن أشد على يدك كواحد من بلدك.  
ضحك تشي، وشد على يده. ثم أخرج الأرجنتيني دفترأ صغيرأ  
من جيبه، وقال:

- هل توقع لي هنا؟ وإلأ لن يصدق أحد من الأرجنتين أنني  
رأيتك فعلاً.

أدار له تشي ظهره، وتابع حديثه مع والديه. لكن الأرجنتيني  
أصر على طلبه متقدماً من تشي.

- لا، قال تشي. أنا لست نجماً سينمائياً.

مرّ أخرى مرّ بناظريه على تلك الوثيقة الملقاة أمامه على  
الطاولة لقد قرّرت هذه الوثيقة في 7 شباط عام 1959 وأعدت  
الشرعية إلى الدستور المقر عام 1940 بعد أن ألغاه باتيستا بمرسوم  
منه، مع إضافة بعض التعديلات التي تأخذ الوضع الجديد بعين  
الاعتبار. ثم أعاد قراءة المادة 12 التي تبدأ بالكلمات: «الكوبي  
الأصل هو...» وتنتهي بـ: «... وأولئك المواطنون الأجانب  
الذين قاتلوا ضد الديكتاتورية في صفوف الجيش الثوري لمدة  
سنتين أو أكثر، وحملوا خلال ذلك رتبة كوميندان لمدة لا تقل  
عن سنة».

كان تشي يعلم أنه لا يوجد سواه بهذه المواصفات، وأنه هو  
المقصود بهذا التعديل. فاجتاحته مشاعر الفخر والشكر. إذ قبله  
كان هناك رجل واحد يتمتع بهذه المواصفات، هو مكسيمو غومس  
الذي عرض حياته للخطر في القرن التاسع عشر على مدى حربين  
ضد الأسباب من أجل استقلال كوبا، حتى أنه حكان على رأس  
المتنفضين.

لم يكن يحلم في يوم من الأيام بمكافأة عظيمة كهذه.

\* \* \*

لا، لم يكن يحلم أن يصبح رئيساً للبنك الوطني. لكن من جهة ثانية عليه أن يعي أن من واجبه النضال هناك، حيث يكون النضال ضرورياً للثورة. فوافق على تسلم هذا المركز. جاء إلى البنك لابساً البزة العسكرية لمقاتلي «حركة 26 تموز»، رافعاً أكمامه، غير مسرح الشعر. لا شك أنه كان يحمل سلاحه. بعد يومين من حضوره إلى البنك، اتصل هاتفياً بالسلفادور فيلاسكا:

- لدي عمل جديد.  
- قرأت ذلك في الصحف. لقد أدى ذلك إلى عاصفة من ردود الفعل. إذ تسارع الناس إلى سحب أموالهم من البنك.  
- لا شك أن الناس تعتقد بمصيبة ما لتعيين شخص ذي توجهات راديكالية في رئاسة البنك الوطني. لكن المسألة ليست كذلك.

- كما أنني قرأت تصريحك في صحيفة «رفولسيون» وهو يدور عملياً عن ضرورة الرقابة المشددة على التجارة الخارجية، وعن ضرورة إيقاف تهريب المستوردات الثمينة.

- بالضبط يا فيلاسكا. تجب ملاحقة هذه المسألة. إلى أين يذهب احتياطنا من العملة الصعبة. لقد انخفض سعر السكر بشكل مخيف، كما أننا في الوقت نفسه بحاجة إلى العملة الصعبة لتأسيس قاعدة صناعية، وليس للزينة. هذه هي مهمتي، أو بالأحرى مهمتنا.

- مهمتنا؟

- أنا أريد أن أسألك؟ ألا تريد أن تكون الرجل الثاني في البنك. وانطباعي عنك جيد.

- لكنني لا أفهم شيئاً في العمل البنكي!  
- من هذه الناحية اطمئن. فأنا أيضاً مثلك.

- كيف ترى المسألة إذاً؟

- نحن الإثنان سنتعلم. سنتحدث مع المصدّرين وموظفي البنك، وخصوصاً مع أولئك المتعاطفين مع الثورة. لكن، هذا لا يكفي، بل علينا أن نقرأ الكثير كي نتعلم. سترى بنفسك صعوبة عملنا، لأننا لن نقوم بعملنا كهواة. وإذا درسنا سنتمكن من القيام بهذه المهمة.

- كلام جميل.

- توقعت رفضك.

كان الاجتماع العادي للمساهمين في البنك الوطني، وعلى جدول أعماله مناقشة الخطة الجديدة للسنة المالية الجديدة.

ترأس تشي الاجتماع:

- ننتقل إلى نقطة «المتفرقات». هل من اقتراحات أيها السادة؟

مر بناظريه على الحضور، ثم قال:

إذا لم تكن لديكم اقتراحات، فلنناقش القضية التالية: أنا اقترح تخفيض راتب رئيس البنك من أربعة آلاف إلى ألف ومئتي بيزو، بهدف اقتصادي والفكرة واضحة للجميع كما اعتقد، ولا تحتاج إلى الشرح. أرجو التعقيب.

نظر البنكيون إلى بعضهم باستغراب. وكان سعيداً بذلك. سأل

أحد البنكيين: .

- هل تكفي الألف والمئتي بيزو كنفقات لرئيس البنك؟

- أولاً، هذا الراتب ليس لي. ولن أتسلم منه فلساً واحداً. أنا

كوميندان في الجيش الثوري. وأتسلم مخصصي من هناك، وهو كافٍ لي. ثانياً، هذا الراتب الكبير، رغم تخفيضه، مخصص لنائبي، الذي ربما لن يكون له دخل آخر غيره. وهو راتب جيد.

وفي جميع الأحوال هو أكبر من متوسط الدخل العام بكثير. هل هناك من أسئلة أخرى؟

لم تكن هناك أسئلة، وصوتَ الحضور على الاقتراح.  
- وهكذا أيها السادة، فأنتم أيضاً تحدثتم كثيراً عن ضرورة  
الاقتصاد والتوفير. أنا اقترح تخفيض رواتب أعضاء اللجنة  
المراقبة، ورؤساء الفروع بالقدر نفسه.  
سأل أحدهم «هل الاقتراح يتعلق برؤساء الفروع فقط أم أنه  
يطال كافة الموظفين؟».

- لا، رؤساء الفروع فقط. هل ترون ضرورة لتخفيض رواتب  
الرجال والنساء الذين يجلسون وراء شبابتك المحاسبة؟ فهم من  
دون ذلك لا يتقاضون رواتب جيدة.  
أجاب عن الأسئلة، واتخذ قراراً بهذا الشأن.

- شكراً لكم أيها السادة. لقد أحضرت لكم هدية متواضعة.  
إنه كتابي الجديد «حرب الأنصار». لقد أنجزت طباعته منذ عدة  
ساعات. وأول نسخة أرغب في تقديمها إلى زميلي المحترم من  
«تشيز مانهاتن - بنك»<sup>(\*)</sup>، وأتمنى له من كل قلبي قراءة ممتعة،  
وتعاوناً مجدداً معنا.

\* \* \*

أبعد تشي الدوسييه الذي يحتوي على معطيات الاحصاء الأخير  
لوضع احتياطات العملة الصعبة، وتشاءب ملء فمه. لقد تعب.  
وتساءل في نفسه «هل من الضروري التحضير للخطاب أمام  
الأطباء الشباب؟». غداً ينتظرون خطابي لمناقشته. لذلك من  
واجبي التحضير له.

عما سيحدثهم؟ سيحدثهم عن تنظيم الخدمات الطبية، وعن  
مهماتهم في المستقبل. سيقول لهم إنه من أجل تنفيذ هذه  
المهمات، تحتاج كوبا إلى أطباء تختلف وجهات نظرهم اختلافاً

---

(\*) أحد أكبر احتكارات البنوك في الولايات المتحدة.

جزرياً عما هو سائد، كما تحتاج إلى علاقات مختلفة تجاه العمل والانتاج.

كيف له أن يشرح ذلك؟

قام من مكانه، أخذ يسير ذهاباً وإياباً من الباب إلى النافذة. وهو يتذكر ما كان يفكر فيه عندما كان طبيباً شاباً: «مفهوم، أستطيع أن أوضح جوهر المسألة بمثال عن تجربتي الشخصية. لكن، ما هي الأفكار التي كانت لدي عندما شرعت في دراسة الطب؟ كنت أريد إثبات نفسي. بالضبط، مثلما يفعل كل إنسان على وجه البسيطة. كان حلمي أن أصبح باحثاً عظيماً، وأن أعمل بنكران ذات كي أقدم خدمة ما للإنسانية. هكذا إذًا، كنت طموحاً إلى النجاح الشخصي، ومتعطشاً إلى المجد.

لكنني في البداية، أردت أن أرى العالم. فكان ترحالي الطويل. لقد تعرفت على الفقر، ورأيت الجوع، والأمراض المرعبة. أما الآن فإنني أرى بأم عيني ما كنت أسمع عنه في الكتب. لقد بدأت أعي أن مساعدة هؤلاء المعذبين شيء مهم كما لو كنت باحثاً عظيماً. لكنني فكرت أنني قادر على مساعدة الناس بقدراتي الذاتية، وحاولت الوصول إلى هدف ما وحدي.

تناول سيجاراً جديداً، وأشعله. ثم انتابه السخط والغضب عندما أخذ يفكر في غواتيمالا وما جرى فيها من وحشية لتحطيم المجتمع الذي بدأ يبني نفسه على أسس إنسانية. الهروب إلى المكسيك، الأرق لعدة ليالٍ عندما كان يفكر في الوصول إلى معرفة الأحداث المحيطة به. كانت يومها مشاعر القرف في بدايتها. لكنه بدأ يعي، وتوضح له الأشياء: المحاولات المعزولة لإنسان واحد لا تؤدي إلا إلى الفشل، حتى لو كان على استعداد للتضحية بنفسه. العطاء الشخصي مسألة في غاية الأهمية، لكن يجب أن يتكامل مع عطاءات الآخرين. من الضروري تهيئة

الظروف لمشاركة الفرد: «هنا في كوبا، تهيء الثورة الظروف الأساسية لذلك. وأخذ يكتب - عندنا هنا يحصل الجميع على الإسعافات الطبية الضرورية، ويلاحظ ازدياد عدد الأطباء. وبفضل نظام الخدمات الطبية المجانية...». هنا توقف عن الكتابة، وأخذ يقلب ما كان قد كتبه من جديد. هل يكفي خلق ظروف جديدة؟ هل يمكننا بناء مجتمع جديد بإنسان قديم، أم أننا بحاجة إلى تغيير الإنسان أيضاً.

كان يفكر في مجموعة الأطباء الشباب الذين أنهوا دراستهم منذ عدة أيام. لقد رفضوا الذهاب إلى بعض القرى النائية، ووافقوا في حال زيادة رواتبهم. لكن، هل يمكن حل هذه المشكلة بالمال؟ هل يعي هؤلاء الأطباء مدى احتياج العمال الزراعيين إلى الخدمات الطبية؟ لا! من جهة ثانية، هل يمكن تحميل هؤلاء الأطباء ذنباً على تصرفهم هذا؟

أشعل تشي سيحاره: «ربما كنت قد تصرفت قديماً، كما يتصرف هؤلاء الأطباء بالضبط». أما الآن فيجب إعداد أطباء لا يتمتعون بإتقان عملهم فقط، بل كي يكونوا على استعداد أيضاً لتقديم المساعدة لإخوانهم من البشر، بغض النظر عن مكان إقامتهم.

فالحديث لا يدور حول أهمية مساعدة الآخرين، وإلا يبقى العطاء الشخصي لإنسان واحد ووحيد: «مصارع من روما، مقاتل ووحيد».

نظر إلى هذه المقارنة مبتسماً. ثم تابع الكتابة: «الطبيب الثوري هو الذي يخدم قضية الثورة والشعب بمعارفه الخاصة وقدراته. لا لأنه مضطر إلى فعل ذلك، أو لخداع ما، وإنما لقناعته بذلك».

أشعل سيحاره الذي انطفأ، ثم تابع الكتابة: «على كل حال، هذا الإنسان الجديد يجب أن يتسم بالمبادرة، فعليه أن يطور

قدراته الفردية، وأن يكون شخصية إبداعية. ومن أجل بناء المجتمع الجديد، لسنا بحاجة إلى دمي تهز رأسها موافقة على كل شيء. بل على العكس من ذلك، إننا بحاجة إلى مناضلين نشيطين، لا يعملون من أجل مصالح شخصية، إنما يشاركون في بناء المجتمع الاشتراكي بإبداع. وهذا هو هدفنا».

شعر في فمه بمرارة من جراء التدخين، شرب قليلاً من الماء، ثم استلقى على السرير تعباً.

لا، إنهم لا يشبهون رجال الدولة. فليس لديهم الوقت الكافي للذهاب إلى الحلاق. لقد غطت وجوههم لحي كثيفة. وكانوا يسرون بالزي العسكري الذي كان مبعثاً للفخر والاعتزاز الكبيرين عندهم.

لقد قرروا أخيراً المشاركة في صيد سمك المنشار في البحر الكاريبي. ففي الخامس عشر من أيار من كل عام كانت تجري مثل هذه المسابقات. وإذا كان هذا السباق يقتصر في السابق على حفنة من المليونيريين، وعلى سفنهم المحيطية، فمن الضروري أن يصبح اليوم رياضة جماهيرية.

تمكن فيدل من إقناع تشي بصعوبة بالغة، لأنه كان يرى أنه توجد أشياء أهم من ذلك بكثير. كان فيدل صياداً - رياضياً يعشق هذه اللعبة. ويرغب في استعراض قدراته في هذا المجال أمام صديقه القديم غيثارا.

قفز خيسوس مونتانه إلى سطح اليخت بحيوية، بينما أخذ ياوديلو كاستيليانوس وتشى يتفحصانه بنظراتهما بريية وشك. كان تشي يدخن سيجاره باضطراب، لأن المركب أعاد إليه ذكريات غير طيبة.

اقترب فيدل منه:

- ها، ما بك أيها المحارب القديم، يبدو أن كريستال لا يعجبك.

هزّ تشي كنفه .

- آخر مرة أبحرت بها على ظهر مركب كانت قبل عامين وأكثر. أنا لست بحاراً، ولو استمر الإبحار ليومين اثنين لهلكت على سطح المركب .

كان الجو ممتازاً لصيد الأسماك، فالسما صافية، والبحر هادئ نظيف، والشمس خفيفة الظل. بعد إبحار ليس بقليل، ألقوا بالمرسة .

جلس الصيادون كل خلف صئارته، يراقبون الماء باهتمام. اشتد حر الشمس، فرفع تشي أكمامه وأطراف سرواله. فجأة، بدا لهم من بعيد مركب آخر، أخذ تشي ينظر إلى البحر بتركيز، ثم صرخ:

- إنه «بيلار»! مركب همغواي .

- إنه يشارك في مسابقة الصيادين بشكل دائم .

- أريد التحدث إليه عن آخر كتبه .

- تشي، هذا ممكن. نتحدث معه بعد صيد الأسماك .

- سنرى من منا سيصطاد أكثر .

- انظر، إنه يرفع واحدة .

- لكنها تقفز من الماء قفزاً .

- إذاً، انتصر همغواي . فطالما يجبر السمك على القفز من

الماء، فإن الهواء يتسرب إلى جهازها التنفسي، ولا تستطيع بالتالي أن تسبح في الأعماق. هكذا سمعت من خيسوس مونتانه .

بعد وقت قصير، ابتعد تشي عن صنارته متمللاً من هذه اللعبة. مدد رجليه، وبدأ بقراءة رائعة استندال «الأحمر والأسود» .

- يبدو أنك لا تأخذ صيد سمك المنشار مأخذ الجد، علق فيدل، فإذا التقطت بالطعم لن تلحق حتى على إلقاء الكتاب، وتبقى من دون صنارة .

- كلام فارغ. إنه نوع ممل من الرياضة. من الأفضل لي أن

أقرأ .

لم يتفهم الرفاق تصرف تشي. لكنه لم يتأثر بذلك، فأغلق الكتاب على وجهه، وأغمض عينيه. وأخذ يستمتع برداذا الماء المتطاير من البحر على وجهه، وبأشعة الشمس التي تدفئه بلطف. اجتاحه شعور عميق بالهدوء والرضا. كان يسمع صوت المحرك الرتيب، وزعيق النورس. نظر إلى الأفق اللامع للبحر الكاريبي، فظهر أمامه وجه إليدا بابتسامته، وإيمانها بالانتصار على باتيستا، وقتالها في صفوف الثوار.

قطع الضجيج حبل أفكاره. إنه فيدل يمك الصنارة بيديه.  
حرر باوديلو كاستيليانوس نفسه، ووقف خلف فيدل ينظر إلى البحر.

- شد أكثر.

جاءهم خيسوس مونتانه.

- إنها تطير كالصاروخ.

- إمك بالصنارة يا فيدل! إنها تحوم من جديد.

كان تشي يراقب أصدقاءه باعجاب. رفع فيدل صنّارته وهي تحمل سمكة المنشار. أما هو فتناول سيجاراً جديداً. فسأله خيسوس:

- ها، ماذا بعد يا كوميندان غيثارا. ألا زلت تشعر بالملل؟  
حاول تشي إشعال سيجاره، لكن الهواء أطفأه. كان عليه أن يذهب إلى العنبر كي يتمكن من إشعاله. لكنه كان مشدوداً إلى صراع جديد مع سمكة أخرى.

مرّت ساعة على فيدل وهو يحاول إغراءها بالقفز من الماء.  
- يا لها من عجيبة! يمكنها أن تستمر بالمرادغة لساعات، يبدو أن قوتها تشبه قوة الثور.

- بم تفكر يا تشي؟ سأله فيدل. ألا تريد أن تجرب؟

- لا ، أنا أفكر بطريقة تمكننا من زيادة إنتاج السمك . وربما لتصديره .
- ستتمكن من تقليص العجز في احتياط العملة الصعبة .
- انتبه! اسحب الآن بقوة! ستسحب الصنارة منك!
- انظر! إنها تقفز! لقد انتصرت الآن يا فيدل!
- صفق باو ديبلو بفرح لأن السمكة قفزت من الماء كالسهم . ومن جديد اختفت في البحر .
- نقل فيدل الطعم عدة أمتار .
- هذه السلعة تقاتل من أجل كل طعم .
- ... كل المشكلة تكمن - تابع تشي حديثه دون انقطاع - في أن نجد من يشتري الأسماك عندما نريد تصديره .

\* \* \*

كان المرتزقة الذين أسروا بعد عملية المظليين في خليج كوتشينوس قد أنهوا تجوالهم في باحة السجن ، عندما دخل تشي إلى هناك ، ومرّ بهم بصمت متفحصاً وجه كل واحد منهم ، وتوقف أمام زنجي طويل :

- لا أفهم ، ما الذي دفعك للتعامل معهم؟ قال ذلك مشيراً بيده إلى بقية الأسرى . أترغب في النضال من أجل «الديمقراطية» أم أنهم اشتروك؟

استمر الأسير على صمته ، فسأله تشي :

- ألا تعرف مع من كنت؟ ثمانمئة من أصل ألف ومئتين من المرتزقة . ألم يكن أهلهم من الأغنياء ، ويريدون استعادة أملاكهم؟ كان من بينهم مئة ملاك تزيد أملاكهم على ثلاثمئة ألف هكتار من الأرض . وهي اليوم ملك للشعب الكويتي . كذلك كان من بينهم خمسة وثلاثون من مالكي المصانع الكبيرة ، ومائة واثنان عشر من مالكي الشركات التجارية الضخمة ، وسبعة وستون من مالكي

العقارات. كانوا يمصون دماء سكان ما يزيد على تسعمائة بيت. وأنت تعرض حياتك للخطر من أجل إرجاع الأمور إلى ما كانت عليه قبل عام 1959، وأنت تعلم حقيقة تلك الحالة؟ هزّ الأسير رأسه، فاسترسل تشي.

- لقد حققنا في كوبا المساواة بين كل الأجناس. أما أصدقاؤنا، فما كانوا يستقبلونك أبعد من عتبات أنديةهم الأرستقراطية. هذه الأندية التي أصبحت عندنا في متناول كل عامل وزنجي.

ثم استدار تشي نحو الآخرين الذين كانوا ينظرون إليه بإمعان. وسألهم:

- من منكم كان عضواً في ناد أرستقراطي؟  
رفع بعضهم يده.

- في أي منها بالضبط؟

- يخت - كوب.

- ميرامار.

- كازينو - اسبانيول.

- بيلتمور.

- أوه. ومنكم من هو عضو في Bih More Yach Tond

.Country Club

قال تشي ذلك منهكماً.

ثم استدار من جديد نحو الزنجي:

- أنت أيضاً كنت عضواً في بيلتمور - كلوب؟

طأطأ الزنجي رأسه. فضحك بعض الأسرى.

- هل كان باستطاعتك أن تصبح عضواً فيه، حتى لو ربحت

نصف مليون ليرة في اليانصيب؟

- لا.

- طبعاً لا. إنهم يدعون أنك توسخ الماء في المسابح.  
ويرتجفون إذا ما دارت في رأسهم فكرة شرب الويسكي بجوارك.  
وفي أحسن الأحوال يقبلونك لتنظيف دورات المياه في منازلهم.  
ومن أجل هؤلاء، ومن أجل أنظمة ولى عهدها تخاطر بحياتك.  
إنهم يستحقون الرحمة أكثر منك.

فأتاه صوت خفيف، بالكاد أن يسمع:

- أعرف ذلك يا كوميندان.

\* \* \*

خلال رحلة الطيران إلى الهند، كتب تشي رسالة مقتضبة إلى والدته. كان الوقت مساءً، وضوء خفيف ينبعث من مصباح صغير في سقف الطائرة. والركاب نائمون جميعاً. وضع تشي الورقة على ركبتيه، وأخذ يفكر في تجديد غليونه. في كل الأحوال لم يأتته النوم. كان يحلم بفتح جبهة ثانية وثالثة ضد الامبريالية. حان الوقت كي تنهض أميركا اللاتينية، وجميع الشعوب المضطهدة. لقد عبأتهم بالشجاعة أمثلة كوبا.

بدأ يكتب: «لقد ثار في نفسي نفور من كل ما يتعلق بالحياة الشخصية. وكأني وحيد، أبحث عن الطريق دون مساعدة أحد. لكنني أصبحت أعني مهمتي التاريخية.

أنا لا أملك بيتاً أو زوجة، أو أطفالاً، ولا حتى أهلاً أو أخوة. بل لي أصدقاء أتقارب معهم بالتفكير. لكنني سعيد، وأعرف هدفي في هذه الحياة. وهذه ليست قوتي الداخلية العظيمة، التي كنت أشعر بها دائماً، إنما القدرة على العطاء نحو الآخرين، أو قناعتني المطلقة بمهمتي التي تحررني من أي مخاوف».

وصل إلى كوبا الشاعر المعروف بابلو نيرودا. وكان تشي يرغب في لقائه. فكم من مرة استعان بأشعاره كي يتغلب على

المحن. وتذكر وجوه الرفاق عندما كان يقرأ عليهم شعر نيرودا.  
وتذكر عيونهم التي كانت تشع لمعاناً بعد أن أعيأها التعب.

«لم تكن ننسى شعره في المعارك» - قال تشي محدثاً نفسه  
بصوت خفيف - ها هي ساعة كاملة تمر وهو في انتظاره. لقد  
دعاه للحضور إلى الوزارة بعد منتصف الليل، وها هي الساعة  
تقارب الواحدة وهو لم يصل بعد. كانت مقابلاته الرسمية تعيق  
وصوله السريع.

مرّ وقت كبير حتى سمع طرقات يده على الباب. وقفنا ينظران  
إلى بعضهما بصمت: «يبدو أن منظري عجيب» - قال تشي في  
نفسه - فهو وزير ويلبس بزة عسكرية، وعلى خاصرته مسدس  
فولثير، والسيجار بين أسنانه.

قطع بابلو نيرودا الصمت:

- لا أعتقد أن لباسك يتناسب مع هذا المحيط البيروقراطي.  
ارتسمت الابتسامة على وجه تشي، وهو يشعر بالتعب، إذ  
مرّت عليه عدة أيام لم يرَ فيها النوم. العمل، والعمل فقط.  
- «أغنييتك العامة» كانت ترافقني دوماً. كنت أقرأها للرفاق في  
سييرا - مايسترا.

- هذا شرف كبير لي، وأنا سعيد جداً بذلك.

- لقد منحتنا القوة والشجاعة، فمن دون هكذا أشعار يبدو  
النضال جافاً.

قدم تشي السيجار لنيرودا.

- هل يشغلك شيء ما يا نيرودا؟ ألا تعجبك الحياة في كوبا؟  
- ماذا تقول! بالطبع تعجبني. لقد فعلتم كل شيء من أجل  
إعادة الأمل.

كما صحت من نومها الملايين من شعوب أميركا الجنوبية.  
وأصبح لديها هدف في هذه الحياة. لقد فرضتم للحرية والأمل

مكاناً عند شعوب أميركا اللاتينية. وهذه الثورة محط فخر واعتزاز عند شعوب القارة. لكنني أرى خطراً يحدق بثورتكم. وهذا ما نكتب عنه في الصحف ونقوله في الإذاعة.

إنهم يحضرون للقيام بعدوان. يريدون تحطيم آمال أميركا الجنوبية. لقد شاهدت متاريس من أكياس الرمل تملأ زوايا هافانا، والأماكن الاستراتيجية. إنني خائف من إعلان الحرب على كوبا.

نهض تشي لدى سماعه الكلمات الأولى لنيرودا، كان يستمع مقطّباً جبينه، ويداعب سيجاره مستغرقاً في التفكير. أخيراً، استدار نحو نافذة مكتبه، واستعرض بانوراما هافانا، ثم قال:

لم يوجه كلامه إلى نيرودا، بل كان يفكر عن الإثنين. ولأول مرة كانت اللكنة الأرجنتينية تبدو واضحة في كلامه.

- الحرب... الحرب... كنا دائماً ضد الحرب. لكننا إذا قاتلنا مرة واحدة فمن المستحيل أن نحيا دون نضال بعدها، وأن لا نسعى في كل لحظة للانطلاق نحوه.

رأى تشي الخوف في عيني نيرودا. إذ كان ينظر إلى الحرب ككابوس شيطاني.

- تقول ذلك لكثرة معاناتك.

كان يريد بهذه الكلمات تبرير حديث تشي.

أما تشي فلم يجيبه بشيء. ولم يكن بإمكانه تعريفه على مشروعه الجديد الذي يتهدى له من أجل القضية الأممية. تجب المحافظة على السرية حتى مع نيرودا.

\* \* \*

فتح الباب، فوجد سيلاً من أضواء الفلاشات أمامه، وأكثر من مئتي صحفي وسينمائي وتلفزيوني يتجمعون في غرفة صغيرة لطرح

الأسئلة عليه، عندما كان يرأس وفداً كوبياً إلى اجتماع وزراء الاقتصاد في مونتيفيديو (\*).

دكتور غيثارا، ما هي طبيعة العلاقات الاقتصادية التي تربط كوبا ببلدان العالم الشرقي؟

- نقيم علاقات تجارية مع البلدان الاشتراكية، ولا نرى تناقضاً بينها وبين طموحاتنا في بناء علاقات طيبة في المجال الاقتصادي مع دول أميركا اللاتينية.

- سينيور غيثارا. كيف تنظر كوبا إلى الذين وقعوا في الأسر بعد عملية خليج كوتشينوس؟

لقد اقترحنا تبادلاً مع المعتقلين السياسيين في الولايات المتحدة، وأسبانيا، وبعض دول أميركا اللاتينية. لكن رُفض اقتراحنا. أما الآن فسيقدمون إلى المحاكمة، ونرى إمكانية إعدادهم أعضاء صالحين في المجتمع. وكما ترون، لا يوجد عمال بينهم تقريباً. وعندما تحدث إليهم فيدل سألهم من منهم شارك ولو لمرة واحدة في قطع قصب السكر. وبالخطأ تبين أن هناك شخصاً واحداً فقط. فعلينا الآن تربيتهم، خصوصاً أنه وفي كوبا ولّى منذ زمن المبدأ القائل «من لا يعمل لا يأكل».

ابتسم أحد الصحفيين ابتسامة عريضة، ثم سأل:

- قل لي من فضلك، أنت والدكتور فيدل، هل سبق لكما أن قطعتما قصب السكر؟

- نعم، نمارس هذا العمل بشكل دائم. ونحن أعضاء في مكتب القيادة، ومن واجبنا قطع قصب السكر. بالإضافة إلى ذلك، أنا شخصياً، سبق لي أن عملت في نقل الموز.

---

(\* يقصد بها الدورة الاستثنائية للمجلس الاقتصادي والاجتماعي بين دول أميركا اللاتينية التابع لمنظمة الدول الأميركية التي انعقدت في آب عام 1961 في مدينة بونتيا - ليل - استه - في الأورغواي.

- وأنت وزيراً؟

- نعم، وسابقاً عملت حملاً للموز، لذلك تعرفت من الداخل على نشاط الاحتكارات في تجارة الفاكهة. كل ما أقوله حقيقة، ولا داعي لأن تنظروا إليّ بارتياب، كما أرى في أعينكم!

- لا تزال القاعدة العسكرية للبحرية الأميركية غوانتامو موجودة على الأرض الكويتية. وهي لا تشكل خطراً عسكرياً فقط، بل سياسياً أيضاً. فكيف تنظرون إلى ذلك؟

- لقد أعلننا دائماً، ولا زلنا نعلن أن الولايات المتحدة تخرق كافة الأعراف، وتستمر باحتلالها أراضٍ كويتية. ولن نهادن في يوم من الأيام مع هذا الأمر، فقد أبلغنا مختلف الهيئات والمنظمات الدولية أن استمرار وجود هذه القاعدة يعني تحدياً لسيادة واستقلال بلدنا. لكننا لن نخاطر بالسلم العالمي. ولن نقوم بعمل عسكري ضد هذه القاعدة، رغم الاستفزازات المتعددة من قبل الجنود الأميركيين الموجودين هناك، ونحن كما في السابق سنبحث عن حل سياسي لهذه المسألة.

- معالي الوزير غيثارا، لماذا أغلقت المدارس الكاثوليكية رغم الادعاء بالحرية الكاملة في كوبا؟

- هذه سخافة! أصبحت المدارس تحت إشراف الدولة.

- يعني ذلك أنه لن تكون هناك مدارس خاصة في كوبا بعد اليوم؟

- ولا حتى مدرسة واحدة! أصبحت كل المدارس رسمية، وفي متناول الجماهير.

- لكن بقيت هناك مدارس كاثوليكية؟

- إنها مجرد مدارس كاثوليكية!

بعد أن هدأ الضحك، وجهوا السؤال التالي، وبدا المؤتمر الصحفي من دون نهاية.

- دكتور غيثارا، ما هي طبيعة العلاقة الحالية بين الدولة والكنيسة؟ وما هو موقف الحكومة الكويتية من الكنيسة؟

- لنا في هذا المجال موقف واضح. ليس هناك من دين رسمي للدولة. هناك حرية كاملة في اختيار الدين أو المذهب أو عدمهما. ولن نسمح لأحد أن ينشر الفرقة والحقد باسم الدين. ففي وقت من الأوقات قامت الشريحة العليا من الكاثوليك، والتي تشكل غالبيتها من الاسبان، قامت بدعم الثورة المضادة علناً، حتى أن بعضهم نزل مع المظليين في خليج كوتشيفوس وعددهم ثلاثة كانوا يختفون بثياب للتمويه، وعندما قمنا باعتقال الرهبان - الاسبان - وأعدناهم إلى فرانكو، وجدنا معهم ورقة كتب عليها: «كما ترون، عندكم هنا سبعمائة..».

- هل بإمكانك تسمية هؤلاء الرهبان؟

- كل السبعمائة المجدنين؟

- لا . أسماء الذين نزلوا مع المظليين.

- كان أحدهم يدعى لوغو، والثاني ماتشو، والثالث لاس

إلاس.

- أنا مراسل «إلى دياريو» من كبريات الصحف التي تصدر في

مونتيفيديو في الأورغواي.

نظر تشي في الجميع وسألهم: «هل هذا صحيح؟». وبعد أن

أكدوا ذلك قال:

- حسناً، يبدو أن ما تقوله صحيحاً.

- ربما يبدو سؤالك غريباً، لكنني أريد في هذا المؤتمر

الصحفي أن أشيع جواً آخر، هل بإمكانك أن تحدثنا عن حياتك.

كيف تعيش، وماذا تأكل، وهل تشرب الكحول، وهل تدخن،

وهل تحوز على إعجابكم، أرجو المعذرة من السيدات

الحاضرات، هل تحوز النساء على إعجابكم؟

بما أنني جئت إلى هذه القاعة كي أجيب عن كافة الأسئلة، سأجيبكم، لكنني أرى بعض الأسئلة غير مناسبة. لكن، لا أكون رجلاً إذا لم تعجبني النساء، واليوم، لا أكون ثورياً، إذا ازدريت بواجبي الثوري، أو بواجباتي الزوجية لأن النساء تعجبني.

- كوميندان، ألا زلت تعتبر نفسك أرجنتينياً؟

- لقد ولدت في الأرجنتين. أرجو المعذرة على عدم التواضع في ذكر المقارنات التالية: خوسيه مارتى وفيدل كاسترو ولدا في كوبا، لكنهما ابنا أميركا اللاتينية كلها، ويناضلان من أجلها. أنا ولدت في الأرجنتين، ولا أتنازل عن وطني، لقد ترعرعت هناك. لكنني أشعر بنفسي كويياً، وفي الوقت نفسه أشعر بمعاناة الجماهير الشعبية في بلدان أميركا اللاتينية أو أية بقعة أخرى على وجه الأرض. كل أميركا اللاتينية وطني.

عند عودته من الأرجواي، زار تشي مكان عمله القديم - البنك الوطني واستمع إلى حديث فيلاسكا عن كيفية تنفيذ المرسوم المالي الذي خطط له بنفسه.

- لا تستطيع أن تتصور تلك المفاجأة يا تشي. كان بعضهم يضرب على رأسه مهرولاً إلى معارفه وأصدقائه، عليهم يهرّبون له أمواله. فهكذا كانت ضربة موجعة لكثيرين من المستغلين.

- ردة الفعل ليست سيئة. ماذا حصل في البنوك؟

- هل تتخيل تلك الطوابير؟ وقفوا للاطمئنان على مستقبل أموالهم وعندما علموا أن الحسابات البنكية التي تزيد على عشرة آلاف بيزو ستجمّد، وأنه لا يمكن سحب ما لا يزيد عن ستمائة وستين بيزواً في الشهر، أطلقوا العنان لكلمات التذمر.

- آه، قال تشي، من يرغب بالاستحمام في الولايات المتحدة عليه أن يترك أمواله هنا. ومن يريد البقاء هنا، عليه أن يعيش ب- ستمائة وستين بيزواً. وهذا المبلغ يساوي ثلاثة أضعاف متوسط

دخل العمال والموظفين. أتعلم يا فيلاسكا كم من البيزوات أَلقت  
المخابرات المركزية الأميركية في الأسواق الكويتية؟ خمسمائة  
مليون. وهي تريد بذلك إجهاض اقتصادنا، وكان بمقدورهم أن  
يفعلوا ذلك لو لم ننفذ المرسوم المالي الذي جعل أموالهم ورقاً.  
أمل أن نكون قد حققنا التوازن بين السلع المعروضة والنقود  
الموجودة في التبادل.

كان سروره عظيماً عندما لاحظ اضطراب الصحافة البرجوازية  
في كوبا بعد أن بدأ بتوقيع الأوراق النقدية الجديدة.

\* \* \*

قفزت ابنته الصغيرة فوق كتفيه بفرح كبير:

- آخ، يا بابا! كم من الوقت يمرّ ونحن لا نراك. لماذا أنت  
وسخ هكذا؟

كان يقف أمامها وسخاً من الرأس حتى أخمص القدمين،  
والتعب ينال منه حتى الإجهاد. تمكن من رسم ابتسامة على  
شفتيه. أخذ ابنته بين يديه:

- نعم يا حبيبتي، كل جسمي وسخ. ولم أبدل ملابسي منذ  
عدة أيام. فأني خطر هذا الذي يحيط بنا يا ابنتي! ستعرفين ذلك  
عندما تكبرين. يا لهؤلاء اليانكي الشياطين!

حاولت البنت أن تظهر بمظهر المتفهم، لكنها لم تتمكن من  
ذلك طويلاً:

- ألا يمكنك أن تلعب معي اليوم ولو قليلاً؟

- هيا نلعب في الشارع.

- أيمكنني أن أركب على ظهرك؟

- اقفزي.

- آخ، كم هو رائع هذا! أنت حصاني، ونحن نسير في غابة  
أسطورية!

ها هي فوق ظهر والدها الذي يسير بها نحو الحديقة على أربعة أقدام، والكلبة الصغيرة تلحق بهما، وهي تنبح بصوت عال. جاءت إلدا، ووقفت إلى جانب الحرس الذي كان يضحك من منظر تشي وابنته.

بعد عدة دورات، توقف تشي، حيناً زوجته السابقة التي بدأت بسؤاله عن آخر الأحداث.

لم يكن تشي يؤمن بالمفاوضات مع الإمبريالية والاتفاق معها. - يعلمنا تاريخ الولايات المتحدة أنها لا تؤمن إلا بالقوة، وأنها لا تتصرف إلا على هذا النحو. لقد أسس الإمبرياليون بلدانهم على الرشوة والتهب. واقتطعوا من المكسيك أراضي واسعة، وماذا بعد؟ كم مرة اعتدى جنودهم على أراضي غيرهم؟ وهنا مثال كوبا في أعوام: 1898<sup>(\*)</sup>، 1905، 1909، 1917، 1933. هل اعتدت كوبا، ولو مرة واحدة، على الولايات المتحدة؟ طبعاً لا. واليوم؟ فإننا نجد في كل قارة من قارات العالم آثاراً لدموية جنودهم وصواريخهم.

كان تشي يتحدث بحرارة، ويحرك يديه بكثرة.

- وكلمتهم؟ يا للمهزلة. حتى رئيسهم الحالي كندي، يحاول إظهار نفسه كرجل عاقل ومحب للخير، وهو في الحقيقة ماكر أجرب. فمنذ عام ونصف أعلن في مؤتمر صحفي أنه لن يقوم هو، ولا حتى أي مواطن أميركي، بالاعتداء على كوبا. ونرى اليوم، لا بل في هذه اللحظة، مرتزقته يتهبأون للهبوط في كوبا. فمنن يتلقون الدعم المادي؟ من الولايات المتحدة طبعاً. وأين تلقوا تدريباتهم؟ في الولايات المتحدة أيضاً. وأين أعدوا خطة

---

(\*) يبدو أن المقصود من عام 1898 هو الحرب بين الولايات المتحدة وإسبانيا. حيث أعلنت الولايات المتحدة الحرب على إسبانيا لاحتلال مستعمراتها ومنها كوبا.

هجومهم على «بلايا خيرون»؟ ومن أعطى الأوامر لبدء العدوان؟ إنه المستر كندي الموقر! فكلمة اليانكي لا تساوي ما تجمّع من أوساخ تحت الأظافر.

استعرض أصابعه باشمزاز، ثم تابع:

- لكنهم يفهمون لغتنا! لقد واجهناهم باستعداد كامل للقتال. والآن، لماذا لم يعط كندي الأمر لجنوده كي يبدأوا بالهجوم، وبوارجه تنتظر الإشارة؟ لأن الشعب الكوبي بأسره يقف على أهبة الاستعداد للدفاع عن ثورته، وهؤلاء الأوغاد يهابون هذا الموقف!.

- لكن الولايات المتحدة بدأت بالحصار البحري، وعبأت جيوشها.

- إلهذا، لن نسمح بمضايقتنا. نحن أعدينا مشروعاً سياسياً لحل المشكلة. لكن، عمن يجري الحديث؟ هل نحن من أعلن الحرب الاقتصادية على الولايات المتحدة؟ لا. إنهم هم الذين مارسوا الحصار الاقتصادي ضدنا. ويقومون بأية وسيلة لإعاقة تطور اقتصادنا، ولا يمكنني أن أحدثك الكثير عن ذلك، علينا أن نناضل بقوة ضد هذه الصعوبات. فهل نحن قمنا بالعدوان على الولايات المتحدة؟ لا. إنها هي التي تدعم عصابات المرتزقة بالمال والسلاح والتدريب من أجل تخريب منجزات الثورة. ثم هل نحن نهدد الولايات المتحدة بالمظليين؟ لا. إننا لا نريد الحرب، لكننا لن نسمح لهم بمضايقتنا، وسنطور بلدنا بالطريقة التي نراها نحن مناسبة.

\* \* \*

مرّة أخرى أعاد تشي النظر في الحسابات الرياضية الموجودة على اللوح، ثم قال:  
- يبدو أنه صحيح. ماذا تقول يا فيلاسكا؟

- صحيح يا تشي

- هذا أروع ما في الرياضيات. رغم أننا لم نكمل حساب التفاضل، إلا أنني فهمت القليل منه، فماذا بعد؟  
- كان يقف أمام اللوح، ويحمل بيده طباشورة.

إجلس يا تشي. لا يمكنني أن أعلمك أكثر من ذلك. فنحن سنتقابل مرتين في الأسبوع لمدة أربع سنوات. نهار الثلاثاء من الثامنة حتى التاسعة صباحاً، ونهار السبت، وقد تستمر الدراسة حتى منتصف النهار. أما الآن، هيا نتذكر ما درسناه اليوم؟ لقد بدأنا من الهندسة التحليلية، وكانت لديك معلومات قليلة. ثم درسنا الحسابات التفاضلية والتكاملية. ومن ثم درسنا نظرية المعادلات التفاضلية بشكل مكثف. بذلك، تكون قد استفدت كل ما لدي من معلومات في هذا المجال، وليس عندي بعد ما أقدمه لك.

- لكن يمكننا الاستمرار بالتعلم بشكل دائم، ما رأيك لو قمنا بذلك معاً؟

- ما الذي تريد دراسته الآن؟

- لقد قرأت عن نظرية تقارب المتوازيات. وهي مهمة جداً لنا. إذ يمكننا أن نستخلص منها كيفية استخدام القطارات، بشكل أكثر عقلانية وتوفيراً، ضمن شبكة ضخمة من سكك الحديد، بواسطة تمكّن من نقل قصب السكر إلى المعامل. فكّم نوّقر من الوقود بذلك؟ لا شك أن هناك إمكانيات كثيرة للاستفادة من هذه النظرية الرياضية.

- بالامكان طبعاً.

- فيلاسكا، بما أننا بلد ضعيف، علينا أن نعرف النظريات العلمية الحديثة لنستفيد منها على أكمل وجه. وليس المهم أن نعرف هل بإمكاننا استخدامها اليوم أم لا. بل المهم معرفة ما إذا

كان بإمكاننا القضاء على التخلف الاقتصادي. وأنا قمت كوزير للصناعة بتنظيم معهد للدراسات العلمية، يدرس تصميم الكمبيوتر وأنا أشك في قدرتنا على تعداد فوائده.

- أوافقك الرأي. سأبحث عن الكتب المفيدة في هذا المجال. إلى اللقاء في الثلاثاء القادم.

\* \* \*

نظر تشي في مفكرته، إنه اليوم الرابع والعشرون من شهر آذار 1964. لا يزال الوقت باكراً، واليوم مقرر لموعد واحد وشخص واحد فقط. كتب على المفكرة اسم «تانيا».

تناول سماعه الهاتف، ثم قال: «لا داعي لإدخال أي شخص آخر اليوم. ثم أخرج دوسيه من الخزانة الحديدية، كتب عليها: «تمارا يونكي». في هذا الوقت قرع الباب.

- صباح الخير يا كوميندان.

- أهلاً وسهلاً تانيا. إنني سعيد برؤيتك. تفضلي اجلسي.

أخذ تشي يقلب أوراق الدوسيه، وهو يقول بصوت خفيف: «انتقلت عام 1961 من جمهورية ألمانيا الديمقراطية إلى كوبا... عملت مترجمة، ودرست في الجامعة... عضوة في الميليشيا الثورية. شاركت في مشاريع العمل التطوعي عدة مرات...».

ألقي نظرة إلى تانيا، ثم قال:

- إذاً، لا بد أن نكون قد تقابلنا في هذه المشاريع، أليس

كذلك؟

- نعم يا كوميندان.

وضع الدوسيه على المنضدة:

- لقد تحققت رغبتك في تقديم وقتك كاملاً لقضية الثورة في

آذار من عام 1963. ومنذ ذلك الوقت وأنت تتحضرين للعمل في الخارج.

- هذا صحيح لكنني لا أعرف، حتى هذه اللحظة، إلى أين سأتوجه .

- أنت طبعاً، تستغربين لماذا تتحدثين بهذا الموضوع معي بالذات .

ردّت تانيا بالنفي، لكن الاستغراب كان بادياً في عينيها الخضراوين .

ضحك تشي، ثم قال :

- لا يا تانيا . إنه مستغرب لأنك تتحدثين معي بالذات، وهنا في وزارة الصناعة . لكن لست وحدك، فأنا سأتسلم قريباً مهمة جديدة مع مناضلين آخرين من كوبا ودول أميركا اللاتينية الأخرى . سنفتح جبهة جديدة . لأن النهوض في بلدان أخرى وبشكل منسق من شأنه أن يؤمن تعاظم القوة الضاربة للشعوب في نضالها ضد الإمبريالية . وأنت بإمكانك تنفيذ مهمة صعبة في بوليفيا، من خلال إقامة علاقات مع الدوائر الحاكمة والقوة العسكرية هناك . يجب أن نعرف كل ما يدور في معسكر العدو . ثم تنتقلين بين المناطق للاطلاع على مستوى استغلال الفلاحين والعمال البوليفيين، وخصوصاً عمال المناجم . عليك أن تعرفي العدو على أكمل وجه ممكن .

بعد صمت قليل، سألت تانيا :

- سأقوم بذلك وحدي؟

- في البداية نعم، ولوقت طويل . وفيما بعد يُتصل بك . ستغادرين أولاً إلى أوروبا لتأخذي مظهراً جديداً، ثم تتوجهين إلى بوليفيا . لقد دُرست تفاصيل المهمة بدقة، وسيخبرونك بذلك . لكن المهم شيء واحد من عدم التحدث عن مهمتك مع أي شخص من الأشخاص في أي حال من الأحوال وفي أي ظرف من الظروف، لا مع الثوار، ولا مع ممثلي الأحزاب الثورية،

حتى في أسوأ الظروف التي تمر عليك. لكن، تأكدي أن هناك رفاقاً آخرين يعملون في بوليفيا، لكنك ستعملين وحدك لفترة طويلة. هل ستقومين بذلك؟

- جاءه الجواب حازماً وواضحاً:

- نعم يا كوميندان، ولدي ثقة كاملة بذلك.

- سترين كيف أننا سنقاتل معاً في بوليفيا. والوقت سيظهر ذلك. لكن علينا أن نؤسس لذلك بشكل عميق. أما الآن فلنتحدث عن الوضع السياسي في أميركا اللاتينية كي نتعرفي على المهمات وآفاق نضالنا. استمر الحديث لعدة ساعات.

\* \* \*

جلس تشي في مقر الممثلة الكوبية في هيئة الأمم المتحدة، يعيد قراءة خطابه من جديد. ألقى نظرة من الطابق الواحد والثلاثين، وأخذ يجول بنظره طويلاً، غير أنه لم يتمكن في هذا النهار الماطر من تحقيق شيء ما.

مرّ بناظره على نص الخطاب من جديد، وهو يبحث عن الفقرة التي تدور حول نزع السلاح. وقرأ: «إحدى أهم القضايا المطروحة للبحث عند هذه الثورة هي موضوع النزع الكامل والنهائي للسلاح، إننا نؤيد قضية نزع السلاح بشكل كامل، إضافة إلى ذلك، إننا ندعو إلى تدمير كافة الرؤوس النووية، ونؤيد اقتراح عقد مؤتمر يضم كافة دول العالم يساهم في تحقيق طموح الشعوب في نزع السلاح. لقد أشار رئيس وزرائنا، في خطابه أمام هذه الدورة، إلى أن سياق التسلح كان دائماً ينتهي إلى الحروب. وأن العالم الآن يشهد ظهور دول جديدة تحوز على السلاح النووي، وهذا يعني ازدياد مخاطر الصدام المسلح. إننا نرى ضرورة لعقد مؤتمر دولي يهدف إلى تدمير كافة

الأسلحة النووية. وأول خطوة في هذا المجال تكمن في تحريم التجارب والتفجيرات النووية».

«نعم، هذا واضح وبرنامجي»، قال تشي في نفسه، وقلب صفحاتين، ثم تابع القراءة.

«إننا نعلن للملأ رغبتنا في بناء الاشتراكية، كما نعلن تضامننا مع كل محبي السلام والمناضلين من أجله. نحن أعضاء في حركة عدم الانحياز، رغم كوننا ماركسيين - لينينيين، لأن بلدان عدم الانحياز تناضل ضد الإمبريالية. نحن نريد السلام، ونريد بناء كوبا الجديدة، وتأمين الحياة الأفضل لشعبنا. لذلك نحاول عدم الرد على استفزازات اليانكي، لكننا نعرف طريقة تفكير حكومة الولايات المتحدة وآراءها، إنهم يطلبون ثمناً باهظاً مقابل السلام. ونحن نجيب من على هذه المنصة، إن هذا الثمن لا يمكن أن يكون أعظم من سيادة البلد».

رفع عينيه عن النص، وتساءل في نفسه:

«السلام - هل هو عدم سقوط الصواريخ النووية فقط؟ - هل سكان غواتيمالا يعيشون بسلام؟ هل يمكننا الحديث عن السلام، في حين أننا نضطر للنضال كل يوم من أجل الحياة؟ وماذا نفعل بمن هزم في صراعه من أجل الوجود؟».

مرّت في ذاكرته تلك الهياكل الملقاة على جوانب الطرقات، هياكل المنبوذين والبؤساء، ضحايا المجتمع الذي لا يرحم. وأولئك القابعون في السجون، أو الذين يتلقون الرصاص بصدورهم ثمناً لكلمة شريفة - «هؤلاء، أيجبون بسلام؟».

بعد إلقاء خطابه في الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة، حاول كثير من الصحفيين إجراء مقابلة معه، فوافق على إجراء مقابلة مع مراسلي شبكة ال سي. بي. إس التلفزيونية، ومع مراسل ال «نيويورك - تايمز».

كانت المقابلة مع وزير الصناعة الكوبي تبث بشكل مباشر. قبل صعوده إلى المنصة، قال له المراسل: «لحظة سيد غيثارا، لا يزال لدينا متسع من الوقت».

توقف تشي، وأخذ يلاحظ الاستغراب في عيون المصور التلفزيوني. كان بإمكانه قراءة التساؤلات المرتسمة على جبينه: «منذ متى كان وزراء الصناعة يلقون خطبهم وهم يرتدون بزّتهم العسكرية؟ ربما غيثارا هذا إرهابي محترف؟».

- سيد غيثارا، في معظم صوركم كان شعركم طويلاً، فلماذا حلقتم؟

هزّ تشي كتفيه، فأية أسئلة غبية هذه!  
- عندما أصبح لدي وقت فراغ لذلك. أما عندما كنا نقاتل في سبيرا فكانت لدينا مشاكل أخرى.

أشعل تشي سيجاراً وهو يفكر بالخطاب الذي ألقاه في الجمعية العمومية، لقد أرهقه، وتتطلب جهداً كبيراً، لكنه ضروري. استمر الصحفي في توجيه أسئلته:

- عفواً سيد غيثارا، كيف يصبح الإنسان ثائراً، على ما أعتقد لا يولد الثوار صدفة! وأنا أهتم بهذه المسألة بشكل شخصي:  
لم يكن غيثارا يرغب أصلاً بإجراء المقابلة. لقد نال الإرهاق منه. لكن، طالما أن الفرصة سانحة للحديث أمام الجماهير، فعليه توضيح المسائل قدر الإمكان، وعليه أن يفعل ما بوسعه من أجل تنظيم الدعاية لقضية شعوب أميركا اللاتينية. أغلق عينيه وبدى بالإجابة:

- لقد نشأت في عائلة معادية للفاشية. وهذا ما ترك تأثيره عليّ. كما رأيت بأم عيني الجوع والمحرومين في طرقات أميركا اللاتينية، وعرفت أسباب هذه العذابات. لقد أصبحت ثائراً حقيقياً في غواتيمالا، عندما رأيت كيف نفذت المختبرات المركزية

الأميركية الإرهاب الدامي المعادي للثورة، باسم الحفاظ على مصالح الاحتكارات الأميركية في هذا البلد، ناهيك عن... .  
حان وقت المقابلة التلفزيونية. لقد احتل المراسلون أماكنهم أمام كاميرات التصوير. وكان أحدهم يجلس وهو يحرك قلماً بين يديه باضطراب، حتى ترك انطباعاً لدى تشي أنه مصاب بمرض ما في معدته، وكان مراسل آخر شديد التركيز. أما الثالث فكان ذا مظهر دبلوماسي.

- دكتور غيثارا، نتحدث واشنطن عن شرطين أساسيين لإعادة العلاقات إلى طبيعتها بين كوبا والولايات المتحدة. الأول هو: تخلي كوبا عن الاتفاقيات العسكرية مع الاتحاد السوفياتي والثاني هو التخلي عن سياسة تصدير الثورة إلى بلدان أميركا اللاتينية الأخرى. فهل ترون مجالاً للتقارب حتى بشرط واحد من هذين الشرطين؟.

نظر تشي إليه شذراً، فلماذا لا يسأله عن رأي الكوبيين بالقاعدة العسكرية الأميركية في كوبا، والتي لا ينوي اليانكي إخلاءها؟ لكنه أجاب:

- أنا لا أرى أية إمكانية للتقارب على هذا الأساس. ونحن مثلاً لم يسبق لنا أن وضعنا شروطاً على الولايات المتحدة، فلم نطالبها بتغيير نظامها الاجتماعي، ولا نطالبها بالتوقف عن الممارسات العنصرية هناك. إننا لا نضع أية شروط لتحسين العلاقات معها، لكننا في الوقت نفسه نرفض أي شروط.

بعد ذلك بدأت الأسئلة المملّة إياها، والتي سبق له أن أجاب عنها عشرات المرات في الأيام الماضية. كم كان يرغب في أن يكون إلى جانب اليبدا والأطفال.

وبينما كان المترجم يقوم بمهمته، أخذ تشي يخط أسماء أطفاله بإصبعه.

ثم عادوا إلى جذور المسألة - الانتقال إلى الاشتراكية بالطرق

السلمية وغير السلمية. فعلى كل حال فهموا أن هذا الانتقال سيتم، لكن السؤال يكمن في السبيل لتحقيق ذلك.

- لقد درسنا نظرياً مسألة الانتقال السلمي إلى الاشتراكية. لكن، من الصعب تطبيق هذه المرحلة سلمياً في القارة الأميركية، لا بل حتى شبه مستحيل، لهذا، قلنا بوضوح لا يقبل التأويل إن الطريق إلى الاشتراكية في أميركا اللاتينية لا يمكن لها أن تتم إلاّ بالحرب. و... - هنا ابتسم لأحد المراسلين الأميركيين، وتابع - وهنا استطيع أن أؤكد لكم براحة ضمير، أنكم ستَمرون عبر هذه الطريق أيضاً.

\* \* \*

بعد إلقاء خطابه في الاجتماع المخصص للحوار الاقتصادي، الذي نظمته منظمة التضامن الأفرو - آسيوية، ذهب تشي إلى حفلة الاستقبال من دون أية رغبة؛ لأنه لم يكن يتحمل هكذا «سهرات» لما يدور فيها من أحاديث تبعث على الاشمئزاز. وهناك، تمكن من الخروج إلى الشرفة لعدة دقائق. ألقى نظرة على ميناء الجزائر، فترأى إلى ذاكرته ميناء فالبارايسدا.

تقدم منه مندوب أحد الوفود الأفريقية، وكان يرغب في التهرب من حديثه، لأنه كان شديد التكلف والدبلوماسية. فجأة، شعر بشوق لإليدا. لكن، لا مهرب من الحديث معه، فهو من بين الدبلوماسيين، ومن واجبه كسب تأييدهم لكوبا. كما لا يحق له أن يبدو جافاً أو حاداً مهما كلف الأمر.

بعد أن تبادلوا المجاملات، وعرف المندوب الأفريقي بنفسه، أبدى استغرابه من السماح للكوبيين بالمشاركة وإبداء الرأي.

- أتعلم يا سيد غيثارا ما الذي أثار حفيظتي أكثر من أي شيء آخر؟ هو حديثك عن البلدان الاشتراكية. عفواً، ألا تريد شراباً بارداً؟

تناول المندوب الأفريقي كأسين من عصير البرتقال، وقدم واحداً منهما إلى تشي:

- لقد قلت في حديثك، أنه من واجب الدول الفقيرة أن تعتمد على الدول الاشتراكية، ومن ثم أخذت تكيل المديح لهذه الدول. في هذه الأثناء، هبت نسمة منعشة، فاستنشقت تشي الهواء بعمق. وكان يشعر بألم خفيف في رأسه. لكن، كان عليه أن يشرح شيئاً ما لهذا المندوب. فشرب كأس العصير دفعة واحدة، ثم أجاب:

- أنا هنا لا أتحدث باسم الحكومة الكوبية فحسب، بل باسم الشعب الكوبي أيضاً، فنحن نعلم من استعداد لشراء السكر من كوبا، في الوقت الذي رفضت فيه الولايات المتحدة شراءه، رغم ارتباطها بعقود واتفاقيات اقتصادية تنص على وجوب شراء الولايات المتحدة للسكر من كوبا. لقد أرادت إركاعنا اقتصادياً. أما الاتحاد السوفياتي، المنتج الأول للسكر في العالم، فقد أبدى استعداده الكامل لشراء محصولنا. أما الاحتكارات الأميركية الشمالية فتريد ألا يكون هناك مصباح واحد يضيء في كوبا، ومن قدم لنا النفط؟ الاتحاد السوفياتي. لقد احتجنا إلى السلاح للدفاع عن أنفسنا. واشتريناه بأثمان باهظة من أوروبا، وكان منهكاً لاقتصادنا. فما الذي جرى عندما وصلت السفينة التي تحمل السلاح، لقد انفجرت في ميناء هافانا وأدت إلى مقتل عدد كبير من العمال. فمن مدّ لنا يد المساعدة بعد ذلك، ومن قدّم لنا أحدث الأسلحة؟ إنه الاتحاد السوفياتي، ولم تنفجر بعدها أية سفينة، ولم نضطر لدفع مبالغ باهظة. وأهم من هذا كله، لم تكن هناك شروط مقابل ذلك. لقد أصبح بإمكاننا أن نفعل ما نريد. وهذا ما تسميه نحن، ربما كان ذلك غير مفهوم لديكم، أو أنه مضحك، أو غير معروف أصلاً. هذا ما نسميه بـ «الأممية البروليتارية». وهذا المفهوم يعني الكثير عند الكوبيين، ووعوا معناه بأمثلة حيّة.

- لكن، كانت هناك خلافات كبيرة أيام الأزمة الكاربية.  
- كانت هناك رؤى مختلفة حول طريقة حل المشكلة. وأخيراً انتصرت الطريقة الأفضل. ثم ماذا؟ أمن أجل ذلك ننسى كل شيء؟ فما هو الأهم؟ المساعدة النزيهة، وطويلة الأمد من دون أي شروط أم الخلاف حول مسألة محددة؟ والخلاف لم يكن ذا طابع مبدئي وجوهري. وأشك في أنكم تفهمون امتلاك دولتين لعلاقات الصداقة والأخوة وفي الوقت نفسه تتبادلان وجهات نظر مختلفة في حل هذه المشكلة أو تلك. اعذرني مسيو، لقد تأخرت، وداعاً.

\* \* \*

قدم له الدجاجة، فطلب منه تشي قهوة وكأس ماء. ثم ألقى نظرة عبر نافذة صغيرة في الطائرة محاولاً تثبيت نظره على شيء ما. لكنه لم ير سوى الغيوم.

أخرج من حقيبتة بعض الأوراق وسيجاراً، ثم استغرق في التفكير. فكف من الأفكار ووجهات النظر عليه صياغتها بشكل مناسب. ومن أعظم أحلامه بناء الإنسان الجديد.

النضال في سيررا، العطاء اليومي من أجل بناء الاشتراكية، لم كل ذلك، ولأي هدف؟ وهل يمكننا بذلك تحطيم الملكية الخاصة لوسائل الانتاج؟ بهذه فقط طبعاً لا. لكن بهذا فقط يمكننا بناء أسس المجتمع الجديد.

أخذ ينظر إلى الغيوم من جديد، وهو مستغرق في التفكير. هل يمكننا بناء مجتمع إنساني على أيدي أناسٍ تأثروا بالمجتمع القديم؟ لقد أثبت الواقع فشل هذه الفكرة، فلا يمكن للوعي أن يتبدل بشكل آلي، ولا يمكن للإنسان الجديد أن يولد وحده مع العلاقات الانتاجية الجديدة.

قدمت له المضيفة كأس الماء والقهوة، فقدم لها الشكر،

وانشغل بأوراقه من جديد. توجد في المجتمع الرأسمالي تأثيرات غير مرئية لمعظم القوانين الرأسمالية على الفرد. فالصحف مثلاً، تكتب عن تحول ماسح للأحذية إلى مليونير، لكنها لن تكتب عن الفقر الذي ينشأ كنتيجة طبيعية لتحول هذا الفقير إلى مليونير، ولا عن الحقارة والدناءة في جمع الثروة، ولا عن الصراع من أجل البقاء، الذي يؤدي بالسير على الجثث باسم المصلحة الشخصية. أما في المجتمع الجديد فلا إمكانية لوجود كل ذلك، لكن، ما هو السبيل لتغيير الوعي بعد هذه التركة كلِّها؟

قضى تشي على القهوة. وأحسّ بتعب في رجله. فعليه أن يمارس الرياضة أكثر، إذ ليس من حقّه الترهل. ثم عاد إلى التفكير بما كان يشغله، وأخذ يدوّن:

«من الضروري أن يكون المشاركون في بناء المجتمع الجديد واعين. فلا يضع الإنسان الجديد في مراكز اهتمامه النجاح الشخصي. بل عليه أن يأخذ مصالح الآخرين بعين الاعتبار، لأنهم أصبحوا أخوة له، وليسوا منافسين. فهكذا يشارك الجميع في التحولات الاجتماعية بنشاط مضاعف. وفي عملية الانتاج النشيطة هذه يجد الإنسان الجديد ذاته، ويعي أنه لا يعمل لنفسه فقط، بل من أجل كوبا الجديدة أيضاً. وعليه أن يتقن العلم والتكنولوجيا من أجل استخدامها لتحقيق أهدافه، ومن أجل تحرير أكبر عدد من البشر من العمل الروتيني، حتى يتمكنوا من الإبداع في البناء. فالإنسان الجديد يخلق فناً يعكس صفاته ومظهره».

فكر تشي بأولئك الذين انشغلوا بمشكلة: «كم أستطيع أن آكل من اللحم؟»، و«كم مرّة أستطيع الذهاب إلى المسبح»، و«أية أدوات يمكنني أن استخدم للزينة؟». لا شك أن كل ذلك له أهميته، لكن الأساس هو الثروة الروحية الداخلية للإنسان. ثم تابع الكتابة: «هل يحرم الإنسان بذلك من ذاته، ويصبح للدولة؟

لا! فالإنسان الجديد وحده يمكنه تطوير إمكاناته الفردية واحتياجاته. ومن أجل ذلك عليه تخليص ذاته من التصورات التي شاخت. لكن، كيف يمكن الوصول إلى ذلك؟ هل بواسطة المغريات المادية والمال؟ لا شك أن الحوافز المادية ضرورية، حتى في الاشتراكية. إلا أن طابعها يتغير، فتضاف إليها الحوافز الفكرية والمعنوية والأمثلة الذاتية».

تذكر تشي شارع العمل التطوعي، حيث كان يشارك مع أعداد كبيرة من الكوبيين. لم يكونوا ينتجون ويعملون من أجل مصالحهم الذاتية، إنما أخذوا هذه المصاعب على عاتقهم من أجل المساهمة في بناء المجتمع الجديد. إضافة إلى ذلك، فإن العمل التطوعي كفيل في تغيير نفسية الإنسان، حيث يتم انقلاب في الوعي، وإتمامه يكون أصعب من الإطاحة بنظام باتيستا. فمن الضروري الانتصار على الإرادة الذاتية، وعلى عدم الانضباط، وعلى أنانية البرجوازية الصغيرة، وعلى تلك العادات التي ورثها العمال والفلاحون من المجتمع القديم. كان يؤمن أن الانتصار على هذه التركة يولد العلاقة الجديدة نحو العمل. وعندها فقط تصبح عودة الرأسمالية مستحيلة، كذلك تصبح الاشتراكية غير قابلة للهزيمة.

ثم بدأ يكتب، «نحن في الاشتراكية أكثر حرية، لأننا أغنى. ونحن أغنى لأننا أكثر حرية. ونحن نضحى عن وعي، وهذا ثمن للحرية التي نناضل من أجلها». وشدد بخطين تحت الجملة الأخيرة.

عاد تشي من الجزائر، وتوجه مباشرة إلى وزارة الصناعة. كانت تجتاحه رغبة عميقة للانفراد بنفسه. وكان يحتاج إلى وقت خاص، للتفكير ولكتابة بعض الرسائل.

جلس خلف طاولة الكتابة، فأحسها غريبة عنه. لأنه نسيها طيلة هذه الرحلة، أخذ يتذكر انطباعاته الجديدة وما رآه في الصين

ومالي، والوضع المعقد في الكونغو وحواراته في مصر ثم انتابه شعور بالوحدة. إذ أصبح أطفاله ينظرون إليه كما لو أنه إنسان غريب تماماً. كانوا ينادون الحارس الذي يقف أمام الباب بعمهم. لقد عرفوه وأحبوه، أما هو فكان بالنسبة لهم شخصية غير معروفة تقريباً لكن هناك شعوباً يملأها النضال بحزم من أجل الحرية، وضد الاضطهاد الإمبريالي. وكان له في هذا النضال منزلة يفتخر بها، وعليه أن يقدم حصّته، وأن يقوم بذلك انطلاقاً من قناعاته. لكن، لم يكن ذلك بهذه البساطة، فقد شعر بحنين تجاه عائلته. ولأطفاله الحق في أن يكون لهم أب. حدّق طويلاً في صورة أطفاله، ثم تناول قلماً وورقة، وأخذ يكتب بأحرف كبيرة فوق العادة:

«إلى أطفالتي!

أعزائي: إلهنا، كاميلو، سيليا وارنستو!  
 إذا قدّر لكم أن تقرّأوا هذه الرسالة في يوم من الأيام، فذلك لأنني لم أستطع أن أكون بينكم فقط. قليل ما تذكرونه عني، وأصغركم سينساني نهائياً.  
 كان والدكم ذاك الإنسان الذي يتصرف بما يخدم أفكاره، ويعيش وفق قناعاته دون أي شكوك.  
 فكي تكونوا ثواراً جيدين، عليكم بالتعلم كثيراً، حتى تتقنوا التكتيك الذي يتيح لكم فهم الطبيعة والتأثير عليها. وأذكروا أن أهمّ ما في الحياة هو الثورة، وأن كل واحد منا على حدة لا يساوي شيئاً. والقضية الأساسية هي في أن لا تفقدوا القدرة على الشعور بانعدام العدالة مهما صغر، وبغض النظر عن مكان انتهاكها. وهذا أروع ما في الثوري من طابع.  
 إلى اللقاء يا أطفالتي الأحباء، أمل أن ألقاكم في يوم من الأيام. أعانقكم بحنان أبلبكم.  
 والدكم».

ألقى الرسالة جانباً، وحدّق بها طويلاً دون أن يقرأها. لقد بدت له مجرد ورقة. ولكنه تمكن من إخبار أبنائه وإلييدا خبراً هاماً، وربما يكون الأخير.

ثم قرر كتابة رسالة أخرى إلى فيدل.

بما أنه وضع احتمال استشهاده، قرر التسامح من الشعب الكوبي ووداعه. ووداع الرفاق القدامى وفيدل. كان يفهم أنه نفذ مهمته في كوبا بشكل جزئي. وتخلّى بشكل رسمي عن موقعه في قيادة الحزب، واستقال من منصبه الوزاري. وتنازل عن رتبة الـ «كومندان»، وعن الجنسية الكوبية. وأصبح بإمكانه الاستمرار في النضال في مكان ما آخر.

لقد شكر في هذه الرسالة فيدل على ما تعلّمه منه. وبما أنه لم يترك لأطفاله أية ممتلكات، فقد ائتمنهم عندالدولة، إذ إنه يؤمن أن الثورة تضمن لهم الحياة والتعليم.

لقد فارق هذا البلد، وعائلته، وأصدقاءه بآلم. لكن، من كان له أن يفهمه أفضل من فيدل، وأن يفهم أفكاره التي يحاول تحقيقها من جديد.

جال في مكتبه ذهاباً وإياباً، والصمت يطغى على الوزارة. إذ لم تكن تسمع طرقات الآلة الكاتبة، ولا جرس الهاتف. بل كان سكون الليل هو السيد.

أشعل سيجاراً، ثم تناول ورقة وبدأ يكتب إلى والديه:  
«عجوزاي العزيزان!

ها أنذا أنطلق من جديد، وأشعر بقرب نهايتي.

قبل عشرة أعوام كنت قد كتبت لكما رسالة وداع، قلت فيها، على ما أذكر، إنني لم أصبح جندياً حسناً ولا طبيباً حسناً. فبالنسبة للثانية فهي لا تعينني، أما الأولى فقد أصبحت جندياً غير

منذ ذلك الحين، بقي كل شيء على حاله بشكل عام، غير أنني ازددت وعياً، وازدادت ماركسيّتي. أنا أرى في النضال المسلح المخرج الوحيد للشعوب المناضلة من أجل حريتها، وأنا ملتزم بأفكاري، وكثيرون هم الذين يعتبرونني مغامراً. وهذا صحيح. لكنني مغامر من نوع خاص، من نوع أولئك الذين يخاطرون بحياتهم من أجل ترجمة أفكارهم إلى واقع.

من المحتمل أن أقوم بذلك للمرة الأخيرة. أنا لا أبحث عن تلك النهاية، لكننا إذا فكّرنا منطقياً، فقد تكون هذه النهاية محتملة. وإذا كان الأمر كذلك، فاسمح لي أن أضمكما للمرة الأخيرة.

لقد أحببتكما كثيراً، لكنني لم أتقن إظهار حبي. وكنت مستقيماً في تصرفاتي إلى درجة قصوى، وأعتقد أنكما لم تفهمايني. ومن جهة أخرى، صدّقاني، لم يكن من السهل فهمي، وعلى الأقل في هذا اليوم. تدفعني إرادتي، رغم رجليّ الضعيفتين ورثتي المنهكتين، إلى العمل. لكنني سأصل إلى الهدف. قبلوا، نيابة عني، سيليبيا، وروبرتو، وخوان، ومارتين... بكلمة واحدة قبلوا الجميع.

يعانقكما بقوة ابنكما الضال الذي لا يقوّم

إرنستو».

نظر إلى الغرفة، وكان الضوء خافتاً. كان له فيها بعض الأشياء الخاصة: صور، مرآة حائط صغيرة، ولاعة، بعض الأقلام. قرر أن يهديها جميعها إلى الموظفين.

جمع ما كان قد تبعثر على الطاولة من سجائر، ووضعها في الصندوق. ثم وقف أمام المرأة: «فهكذا يا إرنستو تشي غيثارا، يرغب دونكيشوط في الانطلاق من جديد».

## الموت في بوليفيا

ها هم، قرابة الشهر، خمسة عشر كويماً يرابطون في منطقة بينار - ديل - ريوه الجبلية. لقد درسوا تكتيك حرب الأنصار، وتعلموا إطلاق النار، والمسير الطويل. لكن، كان عليهم استعادة قدراتهم السابقة، فبنوا معسكراً لفدائيين حقيقيين. كان معظمهم قد تعرف على بعض في معارك الأعوام السالفة. كل واحد منهم كانت له عائلة، وأطفال صغار. لقد دعوهم للنضال ضد الامبريالية في بلد غريب. أين، ومتى؟ هذا ما لم يعرفوه. حتى أنهم لم يعرفوا من يقود العملية. لكنهم رغم ذلك، وافقوا على المشاركة من دون تردد. لقد جُهِّز كل شيء في ظروف سرية للغاية. قطعوا كل الاتصالات بعائلاتهم، ولم يكتبوا كلمة واحدة في رسائل الوداع تشير إلى أية زاوية في هذا العالم سيخاطر والدهم أو زوجها.

طغت على المجموعة عزيمة قوية. كل شيء كان منظماً كما في السابق. لقد تم لهم حيازة القوة الرئيسية. وفي كل يوم كان الرفيق المناوب يقوم بشؤون الطعام. أصبحوا يعيشون من جديد كما كانوا في سيرا. طلب تشي أن يقدم له تقرير يومي عن المزاج والعزيمة الموجودين لدى المجموعة. لم يكن قد وضع المناضلين في الجو بعد. ولم يكونوا على علم أن الدور الأساسي يعود لهم في تنظيم الخطة. لقد أخبروهم أن هناك في المجموعة

من يقوم بقيادة العمل الفدائي المقاوم. وكانت عند معظمهم قناعة أن القائد الجديد سيكون ثورياً معروفاً.

نظم الثوار الصف بسرعة، وأمعنوا النظر بالقائد الجديد للمجموعة. كان يرتدي بزّة رسمية ذات لون معتم، وأشعة الشمس تنعكس على حذائه اللامع. كان حليق الشعر، ونظارات شمسية سوداء ترتسم فوق عينيه. كانت أسنانه مرتفعة قليلاً إلى الأمام. أخذ يداعب غليونه وهو يمرّ متعرفاً على صف الثوار.

- «هنا أيها الرفاق، سترون الدكتور الذي حدثكم عنه، والذي سيقود عمليتنا».

لاحظ الدكتور بعض الاحباط قد ارتسم على وجوه المقاتلين. لقد انتظروا لقاء مع قائد عسكري شهير من قادة الحرب التحريرية وإذا به هذا...

وقف الدكتور بصمت. ومرّر ناظريه على الجميع بارتياب. لقد لاحظ أنهم لا يرغبون في القتال تحت إمرته. وهم لم يحملوه على محمل الجد.

لاحظ بينارس، قائد المعسكر حتى هذه اللحظة، لاحظ عدم الرضى عند المقاتلين. حاول تهدئة الوضع فقال:

- ما رأيكم في المجموعة؟ قال ذلك موجّهاً سؤاله إلى القائد. وكان يتضح من عينيه أنه ينتظر مديحاً كبيراً.

أخرج الدكتور عدة دفعات من غيوم غليونه، ثم قال:

- يبدو أن الحديث يدور حول مغامرة عاطفية.

ارتجف بينارس من المفاجأة. إذ هنا يتجمع خيرة من اشترك في الحرب التحريرية. وبعضهم عضو في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الكوبي.

سادت الدهشة جميع المناضلين. وكانوا يغلون من عدم الرضى. شد بينغوا قبضته، ولولا تمهله لوجه لكمة لهذا الدكتور.

اقترب الدكتور من سان لويس وهزّ رأسه:

- لماذا أنت مصفرّ هكذا؟ من الصعب على أناس بهذه الوجوه أن يصبحوا مقاتلين أشداء. لقد بدا وضع المقاتلين وكأن قبلة موقوتة ستنفجر فجأة، دون أن يعرفوا في جيب من هي موجودة. وبصعوبة، تمالك المقاتلون أنفسهم.

استقرأ الدكتور الغضب في عيونهم. لكنه استمر وكان شيئاً لم يكن. أخذ يقترب من كل واحد منهم، يصافحه ويعرفه بنفسه: «فرصة سعيدة، رومان». وعندما اقترب من انطونيو اسانتشيس دياس قال:

- أعتقد أنه سبق لي أن تعرفت إليك.  
هزّ دياس رأسه نائفاً:

- لا يمكن أن يكون قد حدث ذلك.

نظر الدكتور رومان، غير المعروف من أحد، إلى انطونيو اسانتشيس دياس. أطال النظر إلى عينيه، ثم نظر إليه من رأسه حتى قدميه. انتزع الغليون من فمه، ومرّ بيده على ذقنه الحليق، وبعد توقف طويل قال:

- لكنني في كل الأحوال أعرفك. ألم يقل بينارس اسمك؟ ألم تكن في أيام الأزمة الكاريبية تطوف القرى في سيارة «جيب»  
تحدث الفلاحين عن أحداث الكوايبس.

أجاب دياس بارتياح ومحاولاً التبرير:

- هذا صحيح. لقد طفت على الفلاحين في سيارة «جيب»،  
لكنني لم أرو أي حوادث كابوسية.

اقترب الدكتور من خيسوس سواريس غايول دون أن يكمل كلامه:

- على ما أعتقد إنك مساعد الوزير. ما الذي تفعله هنا؟ ألا يوجد لك عمل غير هذا؟

لقد عرفه غايول، فاندفع نحوه وضمه بقوة. أما بقية الرفاق فكانوا يتابعون هذه اللقطة بدهشة بالغة:

- تشي! يا لك من عجوز محتال! أية مفاجأة! هذا رائع!

سنقاتل معاً من جديد!

- وسنتصّر! أضاف رومان. وهنا انفجرت صيحات السعادة من

قبل الرفاق.

- تشي! كوميندان! أيعقل هذا! تشي!

بعد تحيات عاصفة، وقبلات ونظرات سعيدة، خلع رومان الهندام الفاخر غير المعتاد، وارتدى بزّة خضراء وحذاء الذي قاتل به أثناء الحرب.

ربّت توما على كتفه وقال:

- الآن تعجبني أكثر يا تشي.

- أعجب بنفسي أكثر لأن حارسي لم يعرفني. فهذا شيء جيد.

إذاً، من يستطيع معرفتي من المخابرات المركزية الأميركية؟

اقترب رودريغوس من تشي، وعرض عليه شرباً منعشاً:

- ما اسمك الحركي يا رودريغوس؟

- رولاندوا.

- اسم جيد. كذلك اسم رومان ليس سيئاً. ماذا ستفعل اللجنة

المركزية من دونك؟

- الحزب الشيوعي الكوبي يسير من دوني. وأنا ضروري في

مكان آخر. وأنت أيضاً تركت وزارتك.

- صحيح. والآن، هيا ناقش الوضع العالمي.

جلس المقاتلون في حلقة دائرية، وعلى محياهم ترسم ملامح

السعادة لوجود تشي قائداً لمجموعتهم الأنصارية. ثم أخذ تشي

يشرح لهم هدف عمليتهم.

- في البداية أود أن أعبر عن سروري لأنكم وافقتم على هذه